ثانيا: أكاذيب سيف لصالح قومه في العهد النّبوي:

(١) دور بني تميم في غزوة تبوك:

روى سيفٌ بسنده إلى منجاب بن راشد الضّبّي السّعديّ[١] أنّه قال: "قدم علينا كتاب النّبيّ ﷺ عام تبوك[٢]، فاستنفرنا إلى تبوك، فنفرت إليه تميم، والرّباب[٣]، وأخواتها، فكنّا ربع النّاس، وكانوا ثمانية وأربعين ألفا"[٤].

فهنا يروي سيفٌ خبرا عن رجل من عشيرته في ذكر دور لقبيلته، ويعمد سيفٌ إلى تضخيم دور بني تميم، ويدخلهم مع الرّباب وأخواتها، دون أن يبيّن عدد بني تميم الذين شاركوا فعليّا في الغزوة، في حين أنّ سيفا يجعل الرّباب لا تساوي العشر بين بطون بني تميم كما سيأتي في الحديث عن عمّال النّبيّ ﷺ.

---

(١) ينتهي نسبه إلى بني تميم. السمعاني: الأنساب، تحقيق/ عبد الرحمن يحيى المعلمي وآخرين، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، جـ٣، ص٢٥٥.

(٢) تبوك: خرج النّبيّ ﷺ لغزوة تبوك في شهر رجب من العام التاسع الهجري، وكانت تبوك آنذاك من ديار قضاعة الخاضعة لسلطان الروم في أطراف الشام، وهي الآن مدينة من مدن شمال الحجاز الرئيسية، وتبعد عن المدينة المنورة (٧٧٨) كيلو مترا حسب الطريق المعبدة في الوقت الحاضر، ولها إمارة تعرف بإمارة تبوك. ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص٥١٥؛ عاتق غيث البلادي الحربي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٥٢٤.

(٣) الرّباب: يختلف النسابون في الرّباب، فمنهم من يرى أنهم بنو عبد مناة بن أدّ بن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار، من العدنانية، ومنهم من يرى أنّهم أحياء ضبّة، وسمّوا بذلك لاجتماعهم ربّة ربّة وتحالفهم، وكانوا مجاورين لبني تميم بالدهناء، ثم تفرّقوا بعد ذلك، ولم يبق منهم أحد هنالك. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، جـ٢، ص٤١٥.

(٤) الخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، تحقيق/ محمد صادق الحامدي، دار القادري، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، جـ٣، ص١٦٩٠.

وقد زاد سيف التّميميّ في أعداد المشاركين في غزوة تبوك، فجعلهم ثمانية وأربعين ألف مقاتل، وذلك حتّى يرفع عدد المشاركين فيها من قبيلته، بينما يتّفق أئمة أهل المغازي والسّير على أنّ عدد المسلمين يومئذٍ لم يجاوز الثّلاثين ألف مقاتل[1].

(٢) عمّال النّبيّ ﷺ على تميم:

ذكر سيفٌ أنّ النّبيّ ﷺ استعمل ستّة نفر على بني تميم على صدقاتهم، فكان الزّبرقان بن بدر على الرّباب وعوف والأبناء، وقيس بن عاصم على مقاعس والبطون، وصفوان بن صفوان على قبيلة بهدى من بني عمرو (عشيرة سيف الأقربين)، وسبرة بن عمرو على خضم من بني عمرو (عشيرة سيف)، ونصّ سيف على أنّهما قبيلتان من بني عمرو، ووكيع بن مالك على بني مالك من بني حنظلة، ومالك بن نويرة على بني يربوع من بني حنظلة أيضا[2].

ولا يخفى أنّ العصبيّة القبليّة هي التي تدفع سيفا لتكثير عمّال الصّدقات على قومه حتّى يجعل منهم قبيلة عظيمة ليس لها مثيل، والصّحيح أنّ النّبيّ ﷺ استعمل أربعة فقط على بني تميم، فجعل مالك بن نويرة على بني يربوع، والأقرع ابن حابس على بني دارم وبني حنظلة، وبعث الزّبرقان بن بدر على صدقات قومه، وقيس بن عاصم المنقري على صدقات قومه[3].

---

(١) يتفق أئمة المغازي والسير: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، على هذا العدد. مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دار إمام الدعوة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، جـ٢، ص٢٠٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٦٨.

(٣) ابن حبيش: الغزوات، تحقيق ونشر/ أحمد غنيم، مطبعة حسّان، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣٣؛ الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٩٢.

(٣) تحسين سيف لصورة وفد بني تميم:

قدم وفد بني تميم على النّبيّ ﷺ في أوّل السّنة التّاسعة من الهجرة[١]، برئاسة الأقرع بن حابس، فنادى رسول اللّه ﷺ من وراء الحجراتِ، فلم يجبْه، فقال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ"، فكذّبه رسولُ اللّه ﷺ وقال: "ذَاكَ اللَّهُ ﷻ"[٢]، وجعل أعراب تميم ينادون النّبيّ ﷺ بخشونة وجفاء، وكانوا يجهلون الأحكام الشّرعيّة[٣]، فلم يراعوا آداب الاستئذان والمخاطبة، وآذوا النّبيّ ﷺ وهم يرفعون أصواتهم ويقولون: "اُخْرُجْ إِلَيْنَا يَا مُحَمَّدُ"[٤]، فذمّهم الله ﷻ في كتابه، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

ويطبق أهل السّير والمغازي على أنّ التّميميّين قدموا على النّبيّ ﷺ بخطيبهم وشاعرهم، وطلبوا مفاخرة النّبيّ ﷺ، فدعا لهم خطيبه ثابت بن قيس بن

---

(١) الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ طبع، جـ٢، ص١١٨، ١١٩.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، جـ٢٥، ص٣٦٩، ح١٥٩٩١، وقد جزم محققو المسند بتضعيفه بسبب الانقطاع، ولكنّهم قووه برواية الترمذي عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- التي لم تسمّ القائل. وقال الترمذي: "حديث حسن غريب". سنن الترمذي، تحقيق/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، (كتاب التفسير، باب ومن سورة الحجرات)، جـ٥، ص٢٤٠، ح٣٢٦٧.

(٣) ابن حجر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٨٩م، جـ٣، ص٣٠٢.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص٥٦١.

(٥) سورة الحجرات: الآية ٤، ٥. والأثر رواه ابن جرير الطبري. جامع البيان في تأويل آي القرآن، (تفسير الطبري)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، جـ٢٦، ص١٢١، ١٢٢.

شمّاس الأنصاري ﷺ، وشاعره حسّان بن ثابت ﷺ، ولمّا استعلى ثابت وحسّان على التّميميّين أعلنوا إسلامهم(١).

لكن سيفا تجاهل هذه الأخبار الصّحيحة، وحاول طمس الذّمّ الذي خلّده القرآن على قومه، كما أظهر الوفد في صورة من جاءوا يلتمسون قرب النّبيّ ﷺ وليس لمفاخرته، ولذا نراه ينفرد بخبر وفادة الأسود بن ربيعة الحنظليّ التّميميّ فيدّعي أنّه "وفد على رسول الله ﷺ وقال: جئت لأقترب إلى اللّه ﷻ بصحبتك، فسماه المقترب"(٢)، كما ينفرد بخبر وفادة زرّ بن عبد الله بن كليب الفقيميّ التّميميّ، ويزعم أنّه لمّا وفد على رسول الله ﷺ قال: "فني بطني، وكثر إخوتنا، فادع اللّه لنا، فقال: اللهم أوف لزرّ عمارته، فتحوّل إليهم العدد"(٣).

(٤) إرضاء سيف للسّنّة والشّيعة في أمر خلافة النّبيّ ﷺ:

روى سيفٌ عن القعقاع أنّه قال: "شهدت وفاة رسول الله ﷺ، فلمّا صلّينا الظّهر جاء رجل حتّى قام في المسجد، فأخبر بعضهم بعضا أنّ الأنصار قد أجمعوا أن يولّوا سعدا، ويتركوا عهد رسول الله ﷺ، فاستوحش المهاجرون ذلك"(٤).

ولا يُروى هذا الأثر إلا من طريق سيف التّميميّ، عن القعقاع بن عمرو، ولا يصحّ للقعقاع عند المحدّثين صحبة، ولا لقاء، ولا رواية(٥).

---

(١) الواقدي: المغازي، تحقيق/ مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م، جـ٣، ص٩٧٥- ٩٧٩؛ ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص٥٦٠- ٥٦٧؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص١٨٨- ١٩٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٠١.

(٣) المصدر السابق، جـ٢، ص٥٠١. وذكر ابن حجر أنّ ابن شاهين روى من طريق سيف ابن عمر وفادة زرّ على النّبيّ ﷺ في نفر من بني تميم، وأنّه دعا له ولعقبه. الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٢، ص٤٤٦.

(٤) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٥، ص٣٤٣.

(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٢، ص٧٨٤.

والنّاظر في هذا الكلام الذي ينسب للقعقاع يرى فيه إشارة إلى وصيّة وعهد من النّبيّ ﷺ لأصحابه في شأن الخلافة من بعده، وهذا باطلٌ، ولو ثبت شيء من ذلك لما اختلف الصّحابة طرفة عين حول الخلافة، ولا تشاوروا فيها(١).

وقد أقرّ سادة بني هاشم -عليٌّ، والعبّاس، وابن العبّاس رضي الله عنهم- بأنّ النّبيّ ﷺ لم يوص لأحد بالخلافة(٢)، وصرّح بذلك عمر رضي الله عنه(٣)، وجزمت به عائشة رضي الله عنها(٤).

ولو كان عند أحدٍ من المهاجرين والأنصار نصٌّ من النّبيّ ﷺ على تعيين أحدٍ بعينه للخلافة لما اختلفوا في ذلك، ولا تفاوضوا فيه، وهذا رأي جمهور أهل السُّنّة(٥).

وأمّا قول الشّيعة بوصيّة رسول الله ﷺ لعليٍّ بالإمامة من بعده فهو محض افتراء، وفيه اتّهام للصّحابة رضي الله عنهم بالنّفاق، ولو وصّى النّبيّ ﷺ لعليّ رضي الله عنه لكان

---

(١) البخاري: الصحيح، (كتاب الحدود، باب رجم الحُبْلى من الزنا إذا أحصنت)، جـ٦، ص٢٥٠٣، ح٦٤٤٢؛ أحمد بن حنبل: المسند، جـ١، ص٤٤٩، ح٣٩١.

(٢) البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيّامه، تحقيق/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (كتاب المغازي، باب مرض النّبيّ ﷺ ووفاته)، جـ٤، ص١٦١٥، ح٤١٨٢؛ أحمد بن حنبل: المسند، جـ٤، ص٢٠٥، ح٢٣٧٤.

(٣) البخاري: الصحيح، (كتاب الأحكام، باب الاستخلاف)، جـ٦، ص٢٦٣٨، ح٦٧٩٢؛ الترمذي: السنن، وقال: "حديث صحيح"، (كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة)، جـ٤، ص٧٢، ح٢٢٢٥.

(٤) مسلم: الصحيح، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ طبع، (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه)، جـ٤، ص١٨٥٦، ح٢٣٨٥؛ أحمد بن حنبل: المسند، جـ٤٠، ص٤٠٤، ح٢٤٣٤٦.

(٥) القرطبي: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق/ محيي الدين ديب وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، جـ٦، ص٢٤٧، ٢٤٨.

الصّدّيق أسرع النّاس إلى تنفيذ أمره، ولما بايع عليٌّ أبا بكر وسكت عن الوصيّة، وهو الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، وكيف للصّحابة جميعا أن يتواطئوا على السّكوت عن الوصيّة، ويظهروا غير ما يبطنون!![١].

ويتبيّن من هذا أنّ الأثر موضوعٌ في عصر لاحق للأحداث، ولواضعه هوىً معينٌ في أمر الخلافة والنّص عليها، كما يؤكّد أنّ القعقاع لم يكن من بين الصّحابة ولم يشهد تلك الأحداث.

وأرى أنّ سيفا قد أظهر براعة فائقة في تأليف القصص؛ لأنّ هذا النّص المبهم في العهد أو الوصيّة يجمع فيه السّنّة والشّيعة على السّواء، وليس فيه تعيين لأبي بكر ولا لعليّ، وهو كالتّمهيد لموقف القعقاع من خلافة عليّ ﷺ؛ لأنّ سيفا سيعود على البدء في آخر حياة القعقاع، ويذكر أنّ معاويّة ﷺ هجّره من الكوفة لاستغرابه في أمر عليّ ﷺ ومناصرته له[٢].

وهذا من بديع التّركيب القصصيّ عند سيف، والظّنّ أنّه أخذ ذلك من سورة يوسف التي بدأت بالرّؤيا وانتهت بتأويلها.

---

(١) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، (الجزء الثالث)، الخلفاء الراشدون، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٥٥، ٥٦.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٧١.

المبحث الثاني
مختلقات سيف التّميميّة
في أحداث الرّدّة وفتوح العراق إبّان خلافة الصدّيق

أولا: مختلقات سيف في أحداث الرّدّة:

لمّا كانت الرّدّة عن الإسلام سبّة في جبين القبائل التي حنّت إلى الشّرك وعبادة الأصنام عقب وفاة النّبيّ ﷺ فسيحاول سيفٌ التّميميّ أن يلمّع عشيرته وقبيلته خلال تلك الأحداث، ويقلّل من الأخبار التي تعيبهم وتسيء إليهم، ويتبيّن ذلك في الآتي:

(١) حقيقة دور بني تميم في مواجهة ردّة اليمن:

زعم سيفٌ التّميميّ أنّ رسول الله ﷺ استعمل الطّاهر بن أبي هالة التّميميّ -ابن السيدة خديجة- على بعض بلاد اليمن[١]، "عكٍّ والأشعريّين"[٢]، وأضاف بأنّ هاتين القبيلتين كانتا أوّل منتقض بعد النّبيّ ﷺ، وأنّ الطّاهر التّميميّ سار إليهم، ثمّ كتب إلى أبي بكر الصّدّيق بأمرهم وبمسيره إليهم، ولمّا التقاهم الطّاهر ومن معه "اقتتلوا، فهزمهم اللّه، وقتلوهم كلّ قتلة، وأنتنت السّبل لقتلهم، وكان مقتلهم فتحا عظيما"[٣].

وقد سبق القول بأنّ الطّاهر هذا شخصيّة أسطوريّة ليس لها أصلٌ من الواقع أو التّاريخ الحقيقيّ، وعلى هذا فجميع الأخبار المتعلّقة به لا أساس لها من الصّحّة، وينبغي أن تمحى من التّاريخ.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٤٧؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٢، ص٧٧٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٣، ص٤١٨.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٤٧.

(٣) المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٤.

ونقرّ مرتضى العسكريّ في القول بإساءة سيف للتّاريخ الإسلاميّ باختلاقه "واقعة حربيّة من حروب الرّدّة، تظهر عدم تمكّن الإسلام في القبائل العربيّة، وقتلى أنتنت جيفهم السّبل، ممّا يبرهن على انتشار الإسلام بحدّ السّيف"(١).

وأزيد بأنّ الأشعريّين ثبتوا على الإسلام فلم يرتدّ منهم أحد(٢)، ممّا يدلّ على أنّ ادّعاء سيف بانحياز سائر أمراء اليمن إلى الطّاهر ابن أبي هالة بعد قضائه على ردّة عكّ والأشعريّين(٣)، إنّما هو اختلاق بدافع العصبيّة القبليّة.

(٢) دور القعقاع المزعوم في مواجهة ردّة بني عامر:

زعم سيفٌ أنّ أبا بكر ﷺ وجّه القعقاع بن عمرو على رأس سريّة للإغارة على علقمة بن علاثة العامريّ الكلابيّ ومن معه من مرتدّة قومه، فأغار عليهم القعقاع على ماء لهم، ففرّ علقمة بن علاثة هاربا، فانتسف القعقاع امرأته وبناته ونساءه ومن أقام من الرّجال فاتّقوه بالإسلام، فقدم بهم على أبي بكر ﷺ فجحدت زوجة علقمة وولدُه أن يكونوا مالئوه على أمره، وتبرّؤوا منه، ولم يكن بلغ الصّدّيق عنهم غير ذلك، فأرسلهم، ثمّ أسلم علقمة فقبل ذلك منه(٤).

وهذا الخبر من افتراءات سيف؛ فقد نصّ المدائنيّ على أنّ خالد بن الوليد ﷺ هو الذي توجّه إلى علقمة فهرب منه إلى الخليفة أبي بكر ﷺ، وأعلن عودته إلى الإسلام، فقبل إسلامه وأمّنه(٥).

---

(١) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص٣٨٠.

(٢) ابن حبيش: الغزوات، ص٢٦؛ الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٩١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٤٨.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٦٤؛ الأصفهاني: الأغاني، تحقيق/ سمير جابر، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ طبع، جـ١٦، ص٣١٦، ٣١٧.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، جـ١٦، ص٣١٦.

وتعتضد رواية المدائنيّ بغيرها من روايات المحدّثين[١]، والمؤرّخين[٢]، وهذا يدلّ على أنّ سيفا أخذ الدّور الذي قام به خالد ﷺ فنسبه للقعقاع الذي لا يُعرف له ذكر في حروب الرّدة من غير طريقه.

(٣) أكاذيب سيف في ردّة قومه بني تميم:

كان النّبيّ ﷺ قد استعمل مالك بن نويرة اليربوعيّ التّميميّ على صدقات قومه، فلّما توفّي رسول الله ﷺ أمرهم بإمساك أموالهم وعدم تسليمها إلى أبي بكر، ولذلك "ارتدّت عامّة بني تميم"[٣].

ولمّا عزّ على سيف ارتدادُ عامّة قومه، فقد جعلهم فريقين، منهم المستمسكون بالإسلام، ومنهم المرتدّون، وشغل بعضهم ببعض، فجعل المسلمين بإزاء المرتدّين والمتربّصين والمرتابين[٤].

وقد توجّه خالدٌ ﷺ بجيشه نحو مالك بن نويرة التّميميّ بعد القضاء على ردّة أتباع طليحة الأسديّ[٥]، فعمل سيفٌ في عرضه لمسير خالد إلى قومه التّميميّين على أن يظهره في صورة المخالف لأمر الصّدّيق، أو الذي يتحرّك دون

(١) ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٩٠م، جـ٦، ص٤٣٧؛ البيهقي: السنن الكبرى، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، جـ٨، ص٣١٨.

(٢) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص١٠٥، ١٠٨، ١٠٩.

(٣) ابن حبيش: الغزوات، ص٢٥، ٢٦؛ الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٩٠؛ الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، جـ٢، ص٢٠٢.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٦٨.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٧٢؛ الكلاعي: الاكتفاء، جـ٢، ص١٠٩.

إذن وتوجيه منه[١]، بينما ينصّ أهل العلم بالأخبار على أنّه سار إليهم بأمر صريح من الصّدّيق[٢].

ولمّا وصل خالدٌ أرض بني تميم بثّ السّرايا لدعوة النّاس إلى الإسلام ومعاودة الطّاعة، فاستقبله الأمراء بالسّمع والطّاعة، ولم يتخلّف منهم إلا مالك بن نويرة، فوقع أسيرا مع جماعة من أتباعه، ولكنّ السّريّة اختلفت في أمرهم، فشهد أبو قتادة الحارث بن ربعيّ الأنصاري ﷺ أنّهم أقاموا الصّلاة، وخالفه آخرون، فأنكروا أذانهم وصلاتهم، فأمر خالدٌ بإنظارهم حتّى يتّضح أمرهم[٣].

وفي رواية عن أبي قتادة الأنصاريّ ﷺ أنّ خالدا بعثه في سريّة فلقيهم رجل من بني حنظلة التّميميّين، فسألوه عن الممتنعين عن الصّدقة حتّى وقتهم ذلك، فأخبرهم بمكانهم، فأتوهم سراعا عند مطلع الشّمس، فثاروا إلى السّلاح، وقالوا إنّا مسلمون، فأمروهم بوضع السّلاح والاستسلام، ففعلوا، فقبضوا عليهم، وهم اثنا عشر رجلا، فيهم مالك بن نويرة، وجاءوا بهم إلى خالد بن الوليد، فشهد أبو قتادة وبعض الجند أنّهم مسلمون، وحلف آخرون أنّهم ما أسلموا، وأنّ قتلهم وسبيهم حلال، فأخذ خالد برأيهم وأمر بقتلهم[٤].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٧٢.

(٢) الواقدي: الردّة، تحقيق/ يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٧٠، ١٠٣؛ ابن أعثم: الفتوح، مج١، ص٢٤؛ ونقل ابن حبيش هذا القول من كتاب يحيى بن سعيد الأموي من رواية محمد بن إسحاق. الغزوات، ص٧٣.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٠٤؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٧٢.

(٤) أورده المحدث المؤرّخ ابن حبيش الأندلسيّ من كتاب يعقوب بن محمد الزّهري (المفقود) بسنده إلى ابن شهاب الزّهريّ. الغزوات، ص٧٤، ٧٥.

ويزعم سيفٌ أنّ الأسارى حُبسوا في ليلة باردة، فلمّا اشتدّ بردها في عمق اللّيل نادى منادي خالد: "أَدْفِئُوا أَسْرَاكُمْ"، وكان كلام خالد في لغة القائمين عليهم يعني القتل، فأجهز ضرارُ بن الأزور الأسديّ ﷺ على مالك بن نويرة، وفرغ أصحابُه من الباقين، وسمع خالدٌ الواعية فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: "إذا أراد اللّه أمرًا أصابه"(١).

وعند ابن إسحاق أنّ خالداً استدعى مالكا فأنّبه على معاونته للمرتدّين، وعلى منعه الزّكاة، فقال مالك: "ما أخالُ صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا"، فقال خالدٌ: "أو ما تعُدُّهُ لك صاحبًا"! ثمّ أمر بقتله مع أصحابه(٢).

وقد قدم أبو قتادة الأنصاريّ على الصّدّيق فأخبره بمقتل مالك، فجزع لذلك جزعا شديدا(٣)، وغضب عمر ﷺ، وطالب الصّدّيق بعزله؛ وقال: "إنّ في سيفه رهقًا"، ولكنّ الخليفة لم يعبأ بإكثار عمر عليه، ولم يتأثّر بمراثي متمّم بن نويرة التّميميّ الذي قدم المدينة وطفق يشهّر بقتل خالد ﷺ لأخيه مالك، ثمّ أصدر الصّدّيق في ذلك أمرا واضحا في الرّدّ على عمر ﷺ قائلا: "لم أكن لأُشيم سيفًا سلّه اللّه على الكافرين"(٤).

وبالنّظر فيما تناقلته الرّواة، فإنّ القول بمقتل مالك بن نويرة خطئا على يد جند خالد لا يعدو أن يكون إسطارة من اختلاق سيف ليبرئ مالكا من الرّدّة وخالدا من القتل العمد، ولذا فالرّأي أنّ مقتل مالك بأمر خالد الصّريحِ هو الصّحيح.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٧٣.

(٢) المصدر السابق، جـ٢، ص٢٧٣، ٢٧٤.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٠٥.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٦، ص١٦٧، من طريق الواقدي، والطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٧٣، من طريق سيف.

وقد استدعى الصّدّيقُ ﷺ الأمير المجاهد خالد بن الوليد ﷺ وعاتبه في أمر مالك، فشرح له موقفه، وذكر أنّه سمع منه كلاما استحلّ به قتله[1]، واعتذر للخليفة، فعذره، وقبل منه[2]، ثمّ أصدر حكمه في القضيّة بأنّ خالدا تأوّل فأخطأ، وأمر بدفع دية مالك، وردّ السّبي والمال[3]، وعندها سكت الفاروق عن الكلام[4]، ولم يختلف الرّواة في هذا الحكم عن الصّدّيق، ولا نقلوا تعليقا لعمر، ولا لغيره من الصّحابة.

والنّاظر في أخبار ردّة مالك بموضوعيّة يدرك إلقاءه لنفسه في المهالك؛ لأنّه السببُ الرّئيسُ في ردّة قومه، فهو الذي ثوّر العامّة وأغراهم بالرّدّة، حيث كان عاملا للنّبيّ ﷺ على الصّدقة[5]، فلمّا توفّي النّبيّ ﷺ حبس صدقة قومه، وفرّقها فيهم[6]، فلمّا اقترب خالدٌ من أرض تميم خرج من امتنع بالصّدقة من عمّال بني تميم فاستقبلوا بها خالدا ﷺ قبل دخوله أرضهم، ولم يبق إلا مالك في متابعيه[7]، فلا هو خرج بالصّدقة، ولا أرسل للأمير يضمن له جمعها وأداءها، وهذا يرجّح رواية اعتراضه على دفع الزّكاة في محاورته لخالد، ويؤيّد ذلك قول

---

(١) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص١١١.

(٢) الذهبي من رواية ابن إسحاق. سير أعلام النبلاء، جـ١، ص٣٧٧.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٠٥؛ الذهبي من رواية المدائني. سير أعلام النبلاء، جـ١، ص٣٧٧.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٧٣، ٢٧٤.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص٦٠٠؛ ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٦، ص١٦٦؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٥، ص٥٦٠.

(٦) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٩٢؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٥، ص٥٦٠.

(٧) ابن حبيش: الغزوات، ص٧٤، ٧٥.

محمد بن سلام الجمحيّ (ت: ٢٣١هـ/٨٤٦م): "والمجتمع عليه أنّ خالدا حاوره وراده، وأن مالكًا سمح بالصّلاة والتوى بالزّكاة"[١].

والظّاهر أنّ القول بمقتل أتباع مالك معه من زيادات من اخترع قصّة قتلهم خطئا، ثمّ حُشر اللّفظ في الرّواية الأخرى؛ لأنّ الصّدّيق لم يدفع إلا دية مالك، كما ردّ السّبي والمال[٢].

وقد زعم مرتضى العسكريّ أنّ سيفا اخترع من الرّوايات ما يؤكّد به ردّة مالك ليدافع عن خالد ﷺ ويُظهرَ أنّه كان محقّا في قتل هذا المرتدّ المتذبذب[٣].

والذي يظهر لي من صنيع سيف أنّه أراد تبرئة مالك من الرّدّة وخالدا من القتل العمد، كما في رواية قتلهم خطئا على يد الجند، لكنّه أخفق في حبك الرّواية بذكره تحريقَ خالدٍ ﷺ مالكا ومن معه بالنّار، فكيف له أن يحرّق رؤوس قوم قتلوا خطئا، وبلغ من قلّة حياء سيف من الكذب أن يروي قائلا: "كان مالك بن نويرة من أكثر النّاس شَعْرا، وإنّ أهل العسكر أَثْفَوا[٤] برؤوسهم القدور، فما منهم رأس إلا وصلت النّار إلى بشرته، ما خلا مالكا، فإنّ القدر نضجت، وما نضج رأسه من كثرة شعره، وقى الشّعر البشرة حرّها أن يبلغ منه ذلك"[٥].

---

(١) طبقات فحول الشعراء، تحقيق/ محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، بدون تاريخ طبع، جـ١، ص٢٠٧.

(٢) ينظر خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٠٥.

(٣) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، جـ١، ص١٩٦.

(٤) أثفوا: نصبوا على رؤوسهم القدور. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، جـ١٤، ص١١٣.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢٧٣.

ثانيا: مختلقات سيف التّميميّة في فتوح العراق إبّان خلافة الصديق:

لا يخفى أنّ العصبيّة القبليّة تظهر في أعلى درجاتها عند تعداد مآثر العشيرة أو القبيلة، وخاصّة إذا كان المؤرّخ لا يتورّع عن الكذب والاختلاق كسيف التّميميّ، ولذا نراه يعمل جاهدا على حشد أكبر قدر من البطولات وإلصاقها بعشيرته الأقربين، ثمّ بعموم التّميميّين.

(١) رأي سيف في أوّل من نزل العراق من قادة المسلمين:

يدّعي سيف التّميميّ أنّ حرملة بن مريطة الحنظليّ التّميميّ، وسلمى بن القين التّميميّ كانا "أوّل من قدم أرض فارس"، ويزعم أنّهما من قومه، ومن صالحي الصّحابة المهاجرين، ويعدد لهما حروبا خاضاها، وأماكن نزلاها[١]، لا توجد عند غيره من المؤرّخين.

وبعيدا عن القول باختلاق هاتين الشّخصيّتين[٢]، فإنّ جمهور المؤرّخين متّفقون على أنّ المثنّى بن حارثة الشّيبانيّ ﷺ هو أوّل من بدأ فتوح العراق دون علم الخليفة أبي بكر الصّدّيق ﷺ[٣]، ولا عبرة بأقاويل سيف إذا خالفت أقوال أهل العلم بالأخبار[٤].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص١٤٢، ١٤٣.

(٢) مرتضى العسكري: خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص٢٩١.

(٣) الأزدي: فتوح الشام، طبعة كلكتة، الهند، ١٨٥٤م، ص٤٥؛ الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق/ عبد المنعم عامر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١١١؛ البلاذري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٣٨؛ ابن أعثم: الفتوح، مج١، ص٧٠؛ العسكري: الأوائل، دار البشير، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٢٨١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣٢٥؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٤، ص١٤٥٦.

(٤) الخطيب البغدادي: مُوَضِّح أوهام الجمع والتفريق، جـ١، ص٢٦٣.

(٢) حقيقة إمداد الصديق خالد بن الوليد بالقعقاع:

يشتهر في التّواريخ التي تنقل عن سيفٍ التّميميّ أنّ خالد بن الوليد ﷺ استمدّ أبا بكر الصّدّيق ﷺ عندما أمره بالتّوجّه لفتح العراق بعد الفراغ من موقعة اليمامة[١]، بداية سنة ١٢هـ/٦٣٣م، فأمدّه بالقعقاع وحده، فقيل للصّدّيق: "أَتَمُدُّ رَجُلا قَدِ ارْفَضَّ عَنْهُ جُنُودُهُ بِرَجُلٍ! فقال: لا يُهْزَمُ جَيْشٌ فِيهِمْ مِثْلُ هَذَا"[٢].

ويخالف البلاذريّ (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م) سيفا في ادّعائه، فيذكر "أنّ خالدا ﷺ لمّا كان بناحية اليمامة كتب إلى أبي بكر ﷺ يستمدّه فأمدّه بجرير بن عبد اللّه البجليّ ﷺ"[٣]، وليس بالقعقاع التّميميّ.

ويذكر ابن حجر من غير طريق سيف أنّ خالدا استمدّ أبا بكر لمّا حاصر الحيرة، فأمدّه بالقعقاع بن عمرو[٤]، ممّا يدلّ على اختراع سيف لتلك الرّواية المزعومة، وسيظهر سبب وضعه لها في الآتي.

---

(١) اليمامة: تقع في شرقي الجزيرة العربية بين الأحقاف جنوبا والبحرين شمالا، وقد تمّ قتل مسيلمة الحنفيّ المتنبّي الكذاب بها، والقضاء على ردّة قومه بني حنيفة في خلافة الصّدّيق. ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص٤٤٢.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٠٩؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، جـ٤، ص١٠١؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق/ عمّار ريحاوي، دار الرسالة العالمية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، جـ٥، ص٧١؛ الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٣٧٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، جـ٢، ص٢٣٥.

(٣) يروي البلاذري هذا الخبر بصيغة التضعيف. فتوح البلدان، ص٢٣٩.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٥، ص٣٤٣، ٣٤٤.

(٣) حقيقة إنقاذ القعقاع لخالد من القتل:

كان القائد الفارسيّ "هُرْمُز" يحكم الأُبُلّة[١] من قبل الفرس، ولم يكن أحدٌ أعدى للعرب منه، حتّى ضربوا به المثل في الخبث والمكر فقالوا: "أخبث من هرمز، وأمكر من هرمز"[٢]، فلمّا بلغه مسير خالد ﷺ وجنده ناحية الأبلّة تلقّاهم بجمع عظيم في كاظمة[٣]، فتقدّم خالد أمام الصّفوف، ودعا إلى البراز، فخرج له هرمز، فقتله خالدٌ، وكتب بذلك إلى الصّدّيق ﷺ فنفَّلهُ سلَبَهُ[٤]، فبلغت قَلَنْسُوَة[٥] هُرْمُزَ مائةَ ألف درهم[٦].

والظّاهر أنّ خالدا ﷺ استشاط غضبا من حديث العرب عن جبروت هرمز وقهره لهم، فدعاه إلى المبارزة، ولم يلبّثه أن قتله.

لكن لم ترق لسيف التّميميّ هذه المنقبة التي حازها خالد، وليس فيها شيء لقومه تميم، ولذا نراه يحرّف الخبر، فيعطي الشّجاعة لهرمز، ويجعله طالبا

(١) الأبلّة: بلدة عراقيّة على شاطئ نهر دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى البصرة. ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص٧٧.

(٢) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٣٧٤.

(٣) كاظمة: تقع على سيف البحر، في طريق البحرين من البصرة، وهي حاليا في دولة الكويت. ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص٤٣١؛ عاتق غيث البلادي الحربي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص١٤١.

(٤) السَّلب: كلّ شيء على الإنسان من اللباس فهو سلب. ابن منظور: لسان العرب، جـ١، ص٤٧١.

(٥) قلنسوة: أو قُلَنْسِيَة أو قَلَنْساة، من ملابس الرؤوس. المصدر السابق، جـ٦، ص١٨١.

(٦) الطبراني: المعجم الكبير، جـ٤، ص١٠٤، ح٣٨٠٣؛ جـ٤، ص١١٤، ح٤١٦٨؛ الحاكم: المستدرك، جـ٣، ص٣٣٨، ح٥٢٩٨؛ البيهقي: السنن الكبرى، جـ٦، ص٥٠٧، ح١٢٧٩٠؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، جـ٥، ص٣٣١، ٣٣٢، ح٩٧٠١.

للمبارزة، وليس مطلوبا، ويقلّل من عبقرية خالد الحربيّة، وبطولته الفرديّة، فيدّعي أنّ هرمز طلب مبارزة خالد وهو يضمر اغتياله بمجموعة من فرسانه، وأنّ خالدا غفل عن ذلك، ولم ينتبه له، فلمّا اشتبك مع هرمز خرجت المجموعة الفارسيّة لاغتياله، ولولا أنّ القعقاع بن عمرو الأسيّدي العمرويّ التّميميّ -ابن عمّ سيف- كان متيقظًا واندفع إلى المجموعة الفارسيّة فأنامهم لفتكوا بخالد، ولمّا انفرد خالد بهرمز ذبحه كما يذبح الكبش، وفرّ الفرس منهزمين[1].

وبهذا يرفع سيفٌ قعقاعه على خالد بن الوليد ﷺ درجات عالية، حيث نسب لصاحبه بطولة خارقة عندما أنام مجموعة من أبطال الفرس المنتخبين بدفعة واحدة، وذلك في الوقت الذي لم يقتل فيه خالدٌ إلا واحدا فقط، كما جعل القعقاع أكثر عبقريّة في التّكتيك الحربيّ من خالد بن الوليد.

وقد تسرّع مرتضى العسكريّ فجزم بأنّ أخبار ملاقاة خالد ﷺ لهرمز من مختلقات سيف، وأنّه هو الذي اختلق شخصيّة الأمير الفارسيّ "هرمز" من أساسها، وادّعى أنّه لا يوجد لهذه الأخبار موردٌ من غير طريق سيف[2]، وكلامه مدفوع بالطّرق المغايرة لسيف.

ولم يزد سيفٌ شيئا على رواية غيره في شأن تنفيل الصّدّيق خالدا قلنسوة هرمز، وبلوغ قيمتها مائة ألف[3]، ولكنّه نفّل صاحبه من المجموعة التي أنامها، وساق خبرا أظهر فيه حسد خالد بن الوليد ﷺ للقعقاع، فروى عن زياد بن حنظلة التّميميّ[4] أنّه أتى المدينة عقب مقتل هرمز، فأرسل إليه الصّدّيق ﷺ فقال له: "ألم

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٠٩، ٣١٠.

(٢) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص٩٩.

(٣) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٣٧٥.

(٤) يعدّ مرتضى العسكري زياد بن حنظلة من المختلقين. خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص٢٧١.

تعلم أنّه كان من الشّأن ذيت وذيت[1]، وأنّ خالدا لقي هرمز فاستلحم، وأنّ القعقاع استلحم فقتلهم وتنفّل؟"[2]، وزاد بأنّ أبا بكر ﷺ قال له: "أين أنت يا زياد؟ أما إنّ خالدا سيتغيّر له ويتنكّر، ثمّ يراجع ويعرف الحقّ، فاستنكره القعقاع بعد ذلك، ووقع بينهما ما يقع بين النّاس"[3].

وكلّ هذا خبثٌ وكذبٌ من الرّاوية الكذوب سيف بن عمر التّميميّ الذي انفرد بذكر هذا الخبر، وليس ببعيد على متّهم بالزّندقة وقلّة الدّين[4] أن يفتري هذا وأمثاله.

(٤) زيادات سيف في فتح الأبُلّة:

يزعم مرتضى العسكريّ أنّ سيفا اختلق خبر فتح الأبلّة على يد خالد بن الوليد سنة ١٢هـ/٦٣٣م، وفي عهد أبي بكر ﷺ بينما الفتح كان سنة ١٤هـ/٦٣٥م، وفي عهد عمر ﷺ، وعلى يد عتبة بن غزوانَ ﷺ[5]، ومعتمده في ذلك قول الطّبريّ: "وهذه القصّةُ في أمر الأُبُلَّةِ وفتحها خلافُ ما يعرفُه أهلُ السّير، وخلافُ ما جاءت به الآثارُ الصّحاحُ، وإنّما كان فتحُ الأُبُلَّةِ أيّامَ عمر -رحمه اللّه- وعلى يد عتبةَ بن غزوان في سنة أربعَ عشرةَ من الهجرة"[6].

---

(١) ذيت وذيت: بمعني كيت وكيت، كناية عن الخبر. ابن منظور: لسان العرب، جـ٤، ص٥٢٣.

(٢) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمّنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٣٧٦.

(٣) المصدر السابق، جـ٢، ص٣٧٦.

(٤) ابن حبّان: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، جـ١، ص٣٤٥.

(٥) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص٩٩؛ عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، جـ١، ص٢١٠.

(٦) تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣١٠.

وكلام الطّبريّ لا يؤيّد مراد العسكريّ في دعوى الاختلاق، لأنّ ابن جرير يشير إلى اختلاف الرّوايات، ويصرّح بما يراه راجحا، كما أنّ فتح الأبلّة على يد خالد بن الوليد إبّان عهد الصّدّيق في المحرم سنة ١٢هـ/٦٣٣م، أمرٌ مشهور عند أهل السّير والتّواريخ وغيرهم، وفي ذلك يقول التّابعيّ قطبة بن قتادة السّدوسيّ الذّهليّ: "حمل علينا خالد بن الوليد في خيله، فقلنا: إنّا مسلمون، فتركنا، فغزونا معه الأُبُلَّةَ، فمشقناها مشقةً، فملأنا أيدينا، حتّى إنّهم ليُولغون كِلابهم في آنية الذّهب والفضّة"[(١)].

وأزيد بأنّ الأزديّ البصريّ (ت: ١٦٥هـ/٧٨٢م) وهو السّابق لسيف والطّبريّ قد أفاض في ذكر فتح خالد ﷺ لبلده "الأبلّة"، ومعاونته للقائد قطبة بن قتادة السّدوسيّ الذّهليّ[(٢)]، ولا شكّ أنّ الأزديّ البصريّ أخبر بتاريخ بلده، ثمّ هو يمنيّ لا يتّهم بالتّحيّز لخالد القرشيّ المضريّ، ولا لقطبة الذّهليّ الرّبعيّ.

وقد استخلف خالدٌ ﷺ قطبة على البصرة عندما غادرها[(٣)]، و "لم يزل قطبة بأرض البصرة أميرًا حتّى قدم عليه عتبة بن غزوان"[(٤)].

ويروي المدائنيّ خبرا مهمّا عن التّابعيّ خالد بن عمير العدويّ البصريّ أنّه قال: "لمّا كان أيّام القادسيّة، كتب إلينا أهل الكوفة يستمدّوننا، فأمدّهم أهل البصرة بألف وخمسمائة راكب، كنت فيهم، فقدمنا على سعد بالقادسيّة وهو مريض". ولذا يرجّح الكلاعيّ أنّ نزول المسلمين بموضع البصرة كان متقدّما على تمصيرها وبنيانها بزمان[(٥)].

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١١٧، ١١٨؛ البغوي: معجم الصحابة، تحقيق/ محمد الأمين محمد الجكني، دار البيان، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، جـ٥، ص٦٧؛ الطبراني: المعجم الكبير، جـ١٩، ص٢٠، ح٣٧.

(٢) فتوح الشام، ص٤٨- ٥٠.

(٣) الأزدي: فتوح الشام، ص٥٠؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١١٨.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق/ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، جـ٤، ص٣٨٧.

(٥) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمّنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٥٤٠.

والمختلق هنا من قبل سيف زعمه أنّ خالدا بعث زرّ بن عبد الله بن كليب الدّارميّ التّميميّ إلى أبي بكر ﷺ بالفيل مع الأخماس، "فطِيف به في المدينة ليراه النّاسُ، فجعل ضعيفاتُ النّساء يقلن: أمن خلق اللّه ما نرى! ورأينه مصنوعًا، فردّه أبو بكرٍ مع زرّ"[١].

ولا شكّ أنّ خبر زرّ التّميميّ وحمله الأخماس إلى المدينة مكذوب، لمخالفته للثّقات، فقد جزم القاضي أبو يوسف (ت: ١٨٢هـ/٧٩٨م) بأنّ أوّل مال قدم به المسلمون على أبي بكر ﷺ من أرض المشرق بعد فتح الحيرة[٢]، وقال الأزديّ: "فاصطلحا على مائة ألف درهم، يؤدّيها أهل الحيرة إليهم في كل سنة، فكانت تلك المائة ألف درهم أوّل مال دخل من أرض العراق إلى المدينة"[٣].

(٥) حقيقة خبر موقعة الولجة:

يذكر الطّبريّ موقعتيّ "الثّنيّ"، و"الولجة"[٤]، ضمن المعارك التي خاضها خالد بن الوليد ﷺ في طريقه لفتح الحيرة، وشهدها معه عاصم بن عمرو التّميميّ في قومه، ويجزم مرتضى العسكريّ بأنّهما ممّا تفرّد به سيف التّميميّ، ليزيد في مآثر خالد بن الوليد والعدنانيّة عموما[٥].

ولا شكّ أنّ في كلام العسكريّ تسرّعا، فعلى الرّغم من عدم وجود ذكر للثّنيّ والولجة من غير طريق سيف في المصادر التي وقفت عليها، إلا أنّ بعض الأسماء التي أنكرها لها ذكرٌ في أحداث لاحقة عليها، فإذا كان قائد موقعة الولجة

(١) تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣١٠.
(٢) الخراج، تحقيق/ طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٥٨.
(٣) فتوح الشام، ص٥٤، ٥٥.
(٤) الولجة: تلي كسكر من ناحية البرّ جنوب العراق. ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص٣٨٣.
(٥) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص١٠٤، ١٠٥.

هو "الأَنْدَرْ زَغْر" الذي هام على وجهه فمات عطشا بعد هزيمة جيشه أمام خالد ابن الوليد، كما في رواية سيف[1]، فإنّنا نجد ابن الأندر زغر يصالح المسلمين في بداية عهد عمر ﷺ على نفس المناطق التي قاتلهم عليها أبوه من قبل، وذلك من طرق موثوقة في الفتوح[2].

وروى سيفٌ أنّ خالدا ﷺ بارز رجلا من أهل فارس يوم الولجة يَعْدِل بألف رجل فقتله، فلمّا فرغ اتّكأ عليه، ودعا بغدائه[3].

وقد تندّر العسكريّ بهذا الخبر، وزعم أنّه من مخترعات سيف التي تفرّد بها، وأنّه ممّا يعجب الأسطوريّين - محبّي الأساطير - والمنقبيّين الرّاغبين في تكثير مناقب السّلف الصّالح[4].

والحقّ أنّ للرّواية أصلا؛ فقد ذكر القاضي أبو يوسف في مكان الولجة وتاريخها أنّ خالدا ﷺ نزل على حصن حصين بالنّجف فيه مقاتلةٌ للفرس، فحاصرهم وافتتح الحصن، واستنزلهم المقاتلة، فضرب عنق رئيسهم، واتّكأ على جيفته، ودعا بطعامه، فلمّا فرغ من طعامه ضرب أعناقهم، وسبى نساءهم وذراريَهم، وأخذ ما في الحصن من المتاع والسّلاح والدّوابّ[5].

وهذا يدلّ على أنّ الأخبار التي ذكرها سيفٌ في هذا الموضع تستند على أصل، وليست من قبيل المختلقات.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣١٢.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٢٤؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٤٧، ٢٤٨؛ الكلاعي: الاكتفاء بما تضمّنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٠٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣١٣.

(٤) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص١٠٥.

(٥) الخراج، ص١٥٦.

(٦) أكاذيب سيف في وقعة ألّيس:

زعم سيفٌ أنّ الفرس والعرب جمعوا لخالد ﷺ بقيادة جابان الفارسيّ، وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا، حتّى غضب خالد وقال: "اللّهمّ إنّ لك عليّ إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقيَ منهم أحدًا قدَرنا عليه حتّى أُجريَ نهرهم بدمائهم"! فلمّا انهزموا نادى خالد جنده: "الأسرَ الأسرَ! لا تقتلوا إلا من امتنع"، فظلّ الفرسان يطلبون المنهزمين ثلاثة أيّام ويقبلون بهم يساقون سوقا حتّى تضرب أعناقُهم في النّهر، وزعم الكذّاب أنّ خالدا ظلّ على هذا التّصرف الطّائش حتّى أتاه البطل المنقذ القعقاع وقال له: "لو أنّك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم"، وعلّمه كيف يبرّ يمينه بقوله: "أرسل عليها، الماء تبرّ يمينُك، وقد كان صدّ الماء عن النّهر فأعاده، فجرى دمًا عبيطًا فسُمّي نهرَ الدّم لذلك الشّأن إلى اليوم"[١].

وبعيدا عن رفعه لمكانة القعقاع التّميميّ وتشويهه لصورة خالد ﷺ، فإنّ المؤرّخين الثّقات يخالفونه في قضيّة إراقة الدّماء التي انفرد بها، ويذكرون أنّ خالدا وجّه المثنّى بن حارثة الشّيبانيّ ﷺ إلى جابان الفارسيّ، فلقيه بنهر الدّم فهزمه[٢]، وأنّ خالدا أتى بعد المعركة فصالح أهل ألّيس على "أن يكونوا عيونا للمسلمين على الفرس وأدلاء وأعوانا"[٣].

وقد أجاد مرتضى العسكريّ في كشف أكاذيب سيف التّميميّ حول تضخيم أعداد قتلى الأعداء في المعارك الإسلاميّة، وإتاحته لغير المسلمين التّقوّل بأنّ "الإسلام انتشر بحدّ السّيف، وإراقة الدّماء لا بمساعدة الشّعوب على حكّامهم كما هو الواقع"[٤].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣١٣، ٣١٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٤٠.

(٣) الأزدي: فتوح الشام، ص٥٣، ٥٤؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٤٠.

(٤) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص١٠٤.

ويغفر الله لأستاذنا الدّكتور عبد الرّازق الطّنطاويّ القرموط ، فقد صحح رواية سيف، ظنّا منه أنّها لثقات المؤرّخين كالطّبريّ وغيره، وطفق يدافع عن صنيع خالد ﷺ ويصوّب رأيه، كما راح يقارن بين سيف الله ومجرمي الحرب في العصر الحديث[١]، والحقّ أنّ خالدا ﷺ براءٌ من أكاذيب سيف التّميميّ المتّهم بالوضع والزّندقة. وقد لقّب النّبيّ ﷺ خالدا ﷺ بلقب "سيف الله"[٢]، تشريفا له، أفلا يكون من المحال أن يصف الوحي بهذا اللّقب رجلا طائشا سفّاكا للدّماء بهذه الصّورة الوحشيّة الغريبة!

(٧) حقيقة موقعة أمغيشيا:

يذكر سيفٌ أنّ خالدا ﷺ توجّه بعد وقعة ألّيس إلى أمغيشيا، ولكنّه وجد أهلها قد جلوا عنها، وتفرّقوا في السّواد، فما كان منه إلا أنّه أمر بهدمها، وهدم كلّ شيء كان في حيّزها، على الرّغم من كونها مصرا كبيرا كالحيرة[٣].

وأوافق مرتضى العسكريّ تماما في القول باختلاق سيف لهذه الواقعة العجيبة التي ينسبها لخالد ﷺ ويشرك فيها بني تميم، فقد أثبت بأكاذيبه حول أمغيشيا فظاظة للجيوش الإسلاميّة دوّنت في كتب التّاريخ، "والجيوش الإسلامية براء من ذلك، ولم يصدر منها نظير ذلك في عصر الفتوحات الأولى البتّة"[٤]، ولقد أجاد العسكريّ كامل الإجادة في تحميل اختلاق أعداد القتلى الهائلة على كاهل سيف الكذّاب الزّنديق، وذلك في سائر فتوح العراق[٥].

---

(١) في تاريخ الخلفاء الراشدين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، جـ١، ص١١٩- ١٢١.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند، جـ١، ص٢١٦، ح٤٣، وصححه محققو المسند بشواهده.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣١٥.

(٤) مرتضى العسكري: خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص٢٢١.

(٥) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، جـ٢، ص٩٦، ٩٧.

(٨) حقيقة خبر المقر وفم فرات بادقلى:

جزم مرتضى العسكريّ بأنّ سيفا تفرّد بذكر أمر المقر، وفرات بادقلى، وانتهى إلى أنّ هذين المكانين ليس لهما أساس في الواقع، وأنّهما من الأيّام الحربيّة المختلقة التي أضيفت إلى فتوح خالد بالعراق[١].

وقد ذكر سيفٌ حديث يوم المقر وفم فرات بادقلى في طريق خالد إلى الحيرة، وقبل فتحها مباشرة، مع الأزاذبة -مرزبان الحيرة- وابنه، الذيْن خرجا لمواجهة المسلمين خارج الحيرة، فتمكّن خالدٌ من القضاء على الأخير عند مجتمع الأنهار، فقطع "الأزاذبة" الفرات هاربا أمام خالد دون قتال[٢].

وبعيدا عن مسميّات الأماكن، فإنّ البلاذريّ قد ذكر إيجاز تفاصيل سيف في نفس المكان والزّمان، وذلك قوله: "وأقبل خالد إلى مجتمع الأنهار فلقيه "أزاذبة" صاحب مسالح كسرى فيما بينه وبين العرب، فقاتله المسلمون، وهزموه"[٣]، وذكر الأزديّ نحوا ممّا نقله الطّبريّ عن سيف[٤]، وأكّد على ذلك اليعقوبيّ (ت: ٢٨٤هـ/٨٩٧م)، فأشار إلى أنّ خالدا سار حتى انتهى إلى فرات بادقلى يريد الحيرة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ انهزم صاحب الحيرة فلحق بالمدائن[٥].

وبهذا فليس لأحد أن ينفي تلك الأيّام والحوادث التي ثبت مضمونها من غير طريق سيف، مع اختلافات مقبولة في منهج البحث التّاريخيّ، لأنّ الحادثة لها أصل صحيح، ويشارك المؤرّخون الثّقات سيفا في تفاصيلها.

---

(١) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص١٨١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣١٥.

(٣) فتوح البلدان، ص٢٤٠.

(٤) فتوح الشام، ص٥٣.

(٥) تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ طبع، جـ٢، ص١٣١.

(٩) تشويه سيف لموقف خالد عند تحويله عن الجبهة العراقيّة:

افترى سيفٌ على خالد ﷺ أمرا عجيبا، فزعم أنّه لمّا جاءه الأمر من الصدّيق بالمسير إلى الشّام اتّهم عمر ﷺ بالسّعي عليه، وقال: "حسدني أن يكون فتح العراق على يدي، وإنّي -بعد الله- كسر الله بي حَدّ العراق، ورعّب أهله، وشجّع المسلمين على غزوه"، ولمّا كان القعقاع حاضرا عنده، فقد أنقذه من وساوس الشّيطان -كما أنقذه من التّصرّفات الطّائشة قبل ذلك- وردّه إلى الصّواب قائلا: "ارفع لسانك عن عمر، والله ما كذب الصّدّيق، ولا صدقت على أخيك، قال: صدقني والله، قبّح الله الغضب والظّنون، وبالله يا قعقاع لقد أغريتني بحسن الظّن، فقال القعقاع: الحمد لله الذي خلّصك، وأبقى فيك الخير، ونفى عنك الشّر"[١].

وإن كان من تعليق فأقول: قبّح الله كذّابا زنديقا يفتري هذا وأمثاله على خالد ﷺ الذي مدحه رسول الله ﷺ بقوله: "نعم عبد الله، وأخو العشيرة"[٢].

وإنّ المطالع لتاريخ خالد ﷺ يدرك أنّه كان من أكثر القادة العسكريّين إخلاصا رئيسا ومرءوسا، ومن أنقاهم سيرة وسريرة.

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق/ عمرو غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، جـ٢، ص٨٤، ٨٥.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند، جـ١، ص٢١٦، ح٤٣، وصححه محققو المسند بشواهده.

المبحث الثالث
مختلقات سيف التّميميّة في فتوح العراق
إبّان خلافة الفاروق

لقد وجد سيفٌ المجال واسعا للاختلاق مع أحداث الفتوحات الكبرى في عهد الفاروق، ولذا سجّل لقبيلته عامّة وعشيرته خاصّة أكبر قدر من المآثر والفضائل، وجاء مرتضى العسكريّ فانتسف روايات سيف دون مقارنة جادّة مع المصادر المعاصرة له أو تحقيق رصين لكلّ ما يرويه، ويتبيّن ذلك من الآتي:

(١) ثبوت مشاركة عاصم بن عمرو التّميميّ في فتوح العراق:

سبق القول بأنّ مرتضى العسكريّ قد أدرج عاصم بن عمرو التّميميّ في كتابه: "خمسون ومائة صحابيّ مختلق"، وجعله الشّخصيّة المختلقة الثّانية بعد القعقاع، ويحتجّ لذلك بأنّ سيفا التّميميّ المتعصّب الكذّاب هو الذي انفرد بذكره، وبسائر أخباره[١].

كما انتسف مرتضى العسكريّ وقعة السّقّاطيّة[٢]، وذلك خلال حديثه عن دور عاصم بن عمرو فيها، وادّعي أنّ خبرها لم يرد إلا من طريق سيف، وأفاض في وجوب محو الأشعار التي تدلّ على مشاركة عاصم فيها، وحتميّة نسفها[٣].

والحقيقة أنّ سيفا لم ينفرد بأخبار عاصم بن عمرو التّميميّ، وليست وقعة السّقّاطيّة من مخيّلة سيف، بل هي وقعة حقيقيّة في مكان له أصلٌ على أرض

---

(١) جـ١، ص١٧٧- ٢١٣.

(٢) السّقّاطية: ناحية بكسكر من أرض واسط، انتصر فيها المسلمون بقيادة أبي عبيد الثقفي على جيش الفرس الذي يقوده نرسي، وذلك في أوّل خلافة الفاروق سنة ١٣هـ/٦٣٤م. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٦٤؛ ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص٢٢٦.

(٣) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص١٨٧- ١٨٩.

العراق؛ وذلك لأنّ جماعة من ثقات المؤرّخين كابن إسحاق[١]، والمدائنيّ[٢]، وخليفة بن خيّاط[٣]، قد اتّفقت رواياتهم مع سيف على أنّ عاصم بن عمرو الأسيّديّ التّميميّ كان من كبار القادة المشاركين في جيش أبي عبيد الثّقفيّ[٤].

ولئن ذكر سيف أنّ كسكر كانت قطيعة لنرسي -ابن خالة كسرى-، الذي فرّ هاربا أمام جيش أبي عبيد[٥]، فقد نصّ ابن إسحاق صراحة على منازلة أبي عبيد لنرسي بكسكر[٦]، وهزيمته له[٧]، وأكاد أجزم بتعمّد العسكريّ تجاهل هذه الأخبار في المصادر الموثوقة لنصّه في غير ما مرّة على اعتماده عليها[٨].

وكان المسلمون قد انسحبوا إلى أطراف العراق بعد رحيل خالد بن الوليد بنصف الجيش إلى الشّام، فلمّا تولّى أبو عبيد وتمكّن من هزيمة الفرس[٩]، عمل على استرداد البلاد التي فتحها خالد ، واستعان في ذلك بقادة جيشه، وهم

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٢٤.

(٢) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٠٦.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٢٤، ١٢٥.

(٤) أبو عبيد: هو أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، والد المختار بن أبي عبيد الكذّاب، ووالد صفية امرأة عبد الله بن عمر ، أسلم في عهد النبي ﷺ، واستعمله عمر سنة ١٣هـ/٦٣٤م، وسيره إلى العراق في جيش فيه جماعة من أهل بدر، فانتصر على الفرس في بعض المواقع، ثمّ قاتلهم في موقعة الجسر بين الحيرة والقادسية، فقتل شهيداً، سنة ١٣هـ/٦٣٤م. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ٦، ص١٠٢؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٧، ص٢٢٣.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٦٤.

(٦) كسكر: منطقة واسعة في سواد العراق، قصبتها مدينة واسط. ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص٤٦١.

(٧) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٢٤.

(٨) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص١٧٥، ٣٨٨، ٤٠٩.

(٩) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٢٤.

المثنّى بن حارثة الشّيبانيّ ، وعروة بن زيد الخيل الطّائيّ ، وعاصم بن عمرو التّميميّ، وقد بعث أبو عبيد عاصم بن عمرو الأسيّدي التّميميّ إلى "نهر جوبر"، فصالحه أهل تلك المنطقة[١]. وفي هذا دليل على أنّ عاصم بن عمرو كان من القادة الكبار الذين أسهموا بدور كبير في فتح العراق.

ولذا فقول ياقوت الحمويّ (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) عن عاصم: "كان فارسا مع جيش أبي عبيد الثّقفيّ"[٢]، هو عين الصّواب، ولم يكن جاهلا ولا غافلا عندما ترجم لكسكر وما حولها، كما يشير إلى ذلك مرتضى العسكريّ[٣].

وقد علّق الكلاعيّ على الأحداث التي سبقت موقعة الجسر سنة ١٣هـ/٦٣٤م، فقال: "وبين الرّواة فيما تقدّم من الأخبار اختلاف في أسماء "الأعاجم" و "الأماكن"، وفى التّقديم والتّأخير لم أر لذكر أكثر ذلك وجها إلا ما كان منه زائدا في الإمتاع ومحسّنا انتظام الحديث"[٤].

وعندما استشهد أبو عبيد الثّقفيّ في موقعة الجسر قام عاصم بن عمرو التّميميّ بدور كبير مع المثنّى بن حارثة في إنقاذ بقيّة الجيش الإسلاميّ[٥].

ولمّا كان محمد بن إسحاق إماما في الرّواية التّاريخيّة[٦]، وسابقا على سيف التّميميّ، وشيخا له[٧]، والمدائنيّ ثقة معتمدا في الرّواية التّاريخيّة[٨]،

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٢٤.

(٢) معجم البلدان، جـ٥، ص٤١٩.

(٣) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص١٩٠.

(٤) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٠٧.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٢٥. وأورده الكلاعي من رواية المدائني. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤١١.

(٦) ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ٢، ص٣٦.

(٧) المزّي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جـ١٢، ص٣٢٤.

(٨) الخطيب: تاريخ بغداد، جـ١٣، ص٥١٦؛ ابن حجر: لسان الميزان، جـ٦، ص١٤.

وخليفة بن خياط "مستقيم الحديث صدوقا"، وله "تاريخ حسن"[1]، فقد ترك مرتضى العسكريّ الاعتماد عليهم في أخبار عاصم، مع أنّه يستدعيهم متى يشاء، ولم يذكر هنا إلا البلاذريّ الذي لم يذكر عاصما التّميميّ بالاسم.

(٢) تضخيم سيف لدور قومه في موقعة القادسيّة:

كاد سيفٌ أن يجعل موقعة القادسيّة بين التّميميّين أو بني عمرو -عشيرته الأقربين- والفرس، كما حرّف بعض الأخبار الحقيقيّة لقومه ونسبها إلى قبائل أخرى، ممّا زاد في تشويهه للحقيقة، وصعّب الأمر على الباحثين عنها، ولذا انتسف مرتضى العسكريّ جميع أخبار سيف عن قبيلته وعشيرته، وخاصّة ما يتعلّق بالقعقاع وعاصم، بل توسّع فنسف أخبارا عامّة تتعلّق بالقادسيّة.

(٣) مشاركة عاصم بن عمرو التّميمي في القادسيّة:

إذا ثبتت مشاركة عاصم بن عمرو التّميميّ مع أبي عبيد الثقفيّ في فتوح العراق من غير طريق سيف كما مرّ، فإنّنا نستطيع أن نؤكّد أيضا مشاركته في القادسيّة، وقد نصّ ابن أعثم الكوفيّ الشّيعيّ على أنّ الخليفة عمر ﷺ أمدّ سعد بن أبي وقّاص ﷺ عقب نزوله العراق بعاصم بن عمرو التّميميّ في أربعمائة راكب، وعاصم بن زرارة التّميميّ في ستمائة راكب، وذلك ضمن الأمداد التي وجهها إليه[2].

والمقارن بين خبر ابن أعثم وروايات سيف في هذا الموضع وغيره يدرك أنّه لا يأخذ عن سيف ولا مصادره؛ لأنّ الأمداد الأخرى التي ذكرها قد وردت في المصادر الموثوقة عن الفتوح.

---

(١) ابن عديّ: الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، جـ٣، ص٥١٧.

(٢) الفتوح، مج١، ص١٣٨.

(٤) دور زُهرة بن الحويّة التميمي في إخماد تمرد عرب العراق:

ما كاد سعد ﷺ ينزل بجيشه جنوب العراق حتّى مات المثنّى بن حارثة الشّيبانيّ ﷺ، فانتهز الفرس تلك الفرصة، ووجّهوا أحد عملائهم، وهو قابوس بن قابوس بن المنذر اللّخميّ إلى القادسيّة ليدعو العرب إلى طاعة الفرس ومعاونتهم على ما كانوا عليه أيّام عمّه النّعمان بن المنذر ملك الحيرة الشّهير.

ويزعم سيفٌ أنّ المعنّى بن حارثة الشّيبانيّ كان قائدا يقظا كأخيه المثنّى، فلمّا أبلغته عيونه خبر قابوس أسرى إليه برجال من قومه فقضى عليه، ثمّ أتى سعدا ﷺ فانضمّ إليه بجنده، وسلّمه وصيّة المثنّى، فجعله مكان أخيه[1].

ويجزم مرتضى العسكريّ بأنّ المعنّى الشّيبانيّ شخصيّةٌ أسطوريّة، وليست حقيقيّة، وأنّ سيفا تفرّد بذكره[2]، والحقّ أنّه شخصيّة حقيقيّة، وقد ذكره ابن أعثم الكوفي مرارا باسم إبراهيم بن حارثة الشّيبانيّ[3]، وجعله على ميسرة جيش المسلمين يوم القادسيّة[4]، ورصد له دورا كبيرا في فتوح فارس[5]، ويبدو أنّ المعنّى لقبٌ له، وكثيرا ما يستند مرتضى العسكريّ على الأخبار الأعثميّة في الرّدّ على سيف التّميميّ ومعارضة أخباره بها[6].

وإذا تركنا الحديث عن حقيقة المعنّى الشّيبانيّ فإنّ المدائنيّ يخالف سيفا فيما ذكره عنه، ويجعل مهمّة القضاء على قابوس بن قابوس بن المنذر لقائد

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٨٦.

(٢) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، جـ٢، ص٨٩؛ آراء وأصداء حول عبد الله بن سبأ وروايات سيف في الصحف السعودية، ص٧١، ٧٢.

(٣) الفتوح، مج١، ص١٥٦؛ ص٢١٥.

(٤) ابن أعثم: الفتوح، مج١، ص١٦٠.

(٥) المصدر السابق، مج١، ص٢١٥، ٢١٦.

(٦) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص١٥٣، ١٥٧، ١٥٩، ٣١٩، ٣٢٠.

مقدّمات جيش القادسيةّ[1]، وهو زُهرة بن الحَويّة التّميميّ[2]، والذي بيّت عميل الفرس وقتله، فتفرّق أصحابه منهزمين[3].

(٥) روايات دعوة المسلمين لملك الفرس وقائدهم:

يروي سيفٌ أنّ الخليفة عمر ﷺ كتب إلى سعد ﷺ أن يبعث إلى ملك الفرس رجالاً يدعونه إلى الإسلام، فيهم عاصم بن عمرو التّميميّ[4]، فلمّا سمع كسرى كلامهم استشاط غضبا، ودعا بوقر من تراب، وأمر بوضعه على أشرف رجل في الوفد، فقام عاصم بن عمرو التّميميّ فأخذ التّراب فحمله وخرج إلى راحلته فركبها، وانطلق إلى سعد فقال له: "أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ أَقَالِيدَ مُلْكِهِمْ"، وراح القائد الفارسيّ رستم إلى كسرى ليسأله عن الوفد، فأخبره أنّه وجد أشرفهم أحمقهم، فتطيّر رستم من أخذهم تراب الفرس، وأرسل مجموعة من الجند خلف وفد المسلمين فلم يدركوهم[5].

ويخالف البلاذريّ رواية سيف فيقول: "كتب عمر إلى سعد يأمره بأن يبعث إلى عظيم الفرس قوما يدعونه إلى الإسلام، فوجّه عمرو بن معدي كرب

---

(١) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٣٧.

(٢) زهرة: هو زهرة بن الحويّة بن عبد الله بن قتادة الأعرجيّ السّعدي التميمي، وفّده ملك هجر على النّبيّ ﷺ فأسلم، وكان على مقدمة جيش المسلمين بالقادسيّة، وله مع سعد بن أبي وقّاص ذكرٌ جميل، كان يرسله للغارة واتّباع الفرس، وهو الذي قتل الجالينوس الفارسيّ عقب القادسيّة، وعاش إلى زمن الحجاج، فقتل على يد أصحاب شبيب الخارجي سنة ٧٧هـ/٦٩٦م. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٢، ص٥٦٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، جـ٢، ص٣٢١؛ ابن حجر: الإصابة، جـ٢، ص٤٧٢.

(٣) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٤٢.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٨٩.

(٥) المصدر السابق، جـ٢، ص٣٩٢.

الزّبيديّ[١]، والأشعث بن قيس الكنديّ[٢] في جماعة، فمروا برستم، فأتى بهم، فقال: أين تريدون، قالوا: صاحبكم. فجرى بينهم كلام كثير، حتّى قالوا: إنّ نبيّنا قد وعدنا أن نغلب على أرضكم، فدعا بزبيل[٣] من تراب، فقال: هذا لكم من أرضنا، فقام عمرو بن معدي كرب مبادرا، فبسط رداءه، وأخذ فيه من ذلك التّراب، وانصرف. فقيل له: ما دعاك إلى ما صنعت؟ قال: تفاءلت بأنّ أرضهم تصير إلينا ونغلب عليها، ثمّ أتوا الملك، ودعوه إلى الإسلام، فغضب، وأمرهم بالانصراف، وقال: لولا أنّكم رسل لقتلتكم، وكتب إلى رستم يعنّفه على إنفاذهم إليه"[٤].

---

(١) ابن معدي كرب: أبو ثور عمرو بن معدي كرب الزُّبيدي، أحد الفرسان الأبطال المشاهير، والشجعان المذاكير، وفد على النبيّ ﷺ في السنة التاسعة، ثمّ ارتدّ بعد وفاته، ورجع إلى الإسلام في عهد الصدّيق ﷺ وحسن إسلامه، وخرج مجاهدا إلى الشام، فشهد اليرموك، وبعثه الفاروق ﷺ إلى العراق فشهد القادسيّة، وغيرها، وأخبار شجاعته كثيرة مشهورة، وقد اختلف الرواة في تاريخ وفاته، فقيل في عهد الفاروق، وقيل أدرك معاوية ﷺ. ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٢، ص٢٦٨- ٢٧٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، جـ٧، ص١٣٤؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٤، ص٥٦٨- ٥٧٤.

(٢) الأشعث: هو الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي، كان اسمه معد يكرب، ولكنّه كان أبدا أشعث الرأس، فسمّي الأشعث، وفد على النبيّ ﷺ في السنة العاشرة، وامتنع عن أداء الزكاة في عهد أبي بكر ﷺ، ثمّ أسر، وأحضر إليه، فعفا عنه، وزوجه أخته، وشهد اليرموك بالشام، والقادسيّة وغيرها بالعراق، وشهد صفّين مع أمير المؤمنين عليّ ﷺ، وتوفي بعده بأربعين يوما على قول الأكثرين. ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ١، ص٢٣٠- ٢٣٧؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٤، ص٥٦٨- ٥٧٤.

(٣) زَبِيلُ: القُفَّةُ أو الوعاء الذي يحمل فيه، وهو بفتح الزّاي، فإذا كسر شدّد فقيل: زِبِّيلٌ، أَوْ زِنْبِيلٌ. ابن منظور: لسان العرب، جـ١١، ص٣٠٠، ٣٠١.

(٤) فتوح البلدان، ص٢٥٣، ٢٥٣.

ويضيف سيفٌ بأنّ ملك الفرس تعجّب من جرأة العرب عليه، فذكّرهم بشقائهم، وقلّة عددهم، وسوء ذات بينهم، وشدّة ضعفهم، وعرض عليهم أن يفرض لهم قوتا إلى خصبهم، ويكرم وجوههم، ويولّي عليهم ملكا يَرفُق بهم، فسكت الوفد عندما سمعوا كسرى، ولم يقطع سكوتَهم إلا المغيرةُ بن زُرارة بن النّبّاش الأسيّديّ التّميميّ، حيث أكّد لكسري على سوء عيش العرب وشدّته، وذكّره بإنعام الله تعالى عليهم ببعثة النّبيّ ﷺ، ثمّ قال له: "اخترْ إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغرٌ، وإن شئت فالسّيفُ، أو تُسلمُ فتنجي نفسك"[1].

ويبدو التّعصّب للقبيلة والعشيرة واضحا في رواية سيف التّميميّ، حيث جعل عاصم بن عمرو التّميميّ سيّد الوفد وأشرفهم رجلا، والمغيرة بن زرارة التّميميّ أفصحهم نطقا، وأثبتهم جنانا، ورواية البلاذريّ أولى بالقبول، لأنّه لا يتّهم بالتعصّب للتّميميّ ولا للزّبيديّ، على أنّني لا أمانع من وجود عاصم بن عمرو التّميميّ كأصغر رجل في الوفد الذي وجّه إلى رستم وكسرى[2].

وأرى أنّ سيفا اختلق شخصيّة المغيرة التّميميّ؛ لأنّه ابن زرارة، وهو أبو هالة زرارة بن النّبّاش بن حبيب الأسيّديّ العمروي التّميميّ، زوج السّيّدة خديجة، وقد سبق القول فيه وفي أولاده.

(٦) تحرير القول في أيّام القادسية:

يشتهر في مصادر التّاريخ التي تنقل عن سيف[3] أنّ القادسيّة استمرّت أربعة أيّام بينها ثلاث ليال، وهي: يوم "أرماث"، و "أغواث"، و "عماس"، و"القادسية"، وليلة "الهدأة"، و "السّواد"، و "الهرير".

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٩١.

(٢) الفتوح، مج١، ص١٥٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٠٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، جـ٤، ص١٧٠؛ ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص٢٢٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص٣٠٢.

ويرى مرتضى العسكريّ أنّه قد وقعت في القادسيّة حرب ضروس بين المسلمين والفرس، وأنّ سيفا أوردها في أحاديثه على شكل أساطير، سمّى اليوم الأوّل منها بيوم أرماث، والثّاني يوم أغواث، والثّالث يوم عماس، واختلق بطولات فذّة لأبطال أساطير من قبيلته تميم، كالقعقاع وعاصم[1]، وجزم بأنّ الأيّام الثّلاثة التي ذكرها سيف في القادسيّة من مختلقاته، ولم يُثبتْ إلا يوم القادسيّة، وليلة الهرير، على الصّورة التي ورد ذكرها في فتوح البلاذريّ[2]، وأكّد بأنّ الأيّام الثّلاثة أرماث، وأغواث، وعماس، أضيفت إلى أيّام التّاريخ الإسلاميّ[3]، وليس لها واقع حقيقيّ، لتفرّد سيف بذكرها دون غيره من رواة الأخبار[4].

ونقول ما هكذا تورد الإبل يا عسكريّ، ولا يكون هذا الادّعاء العريض في نسف الأخبار المستقرّة بهذه السّرعة والسّهولة، ولو ادّعى أنّ مسميّات الأيّام وبعض أحداثها فقط هي المخترعة من قبل سيف لكان الأمر هيّنا، وينتقض كلامه بإقرار المؤرّخين الثّقات وأهل الأخبار للأيّام الثّلاثة، فقد قال المدائنيّ عن القادسيّة: "فاقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيّام، أولها يوم الاثنين لثلاث بَقين من شوّال، ويقال لأيّام بَقين من شهر رمضان"[5]، وذكر البلاذريّ أنّ قتال القادسيّة كان يوم الخميس والجمعة وليلة السّبت[6]، وأكّد الكلاعي الأيّام الثّلاثة بقوله: "كانت القادسيّة في شوّال سنة خمس عشرة، وابتداء أيّامها يوم الاثنين لثلاث ليال خلون من شوّال أو لأيّام بقين منه، وقيل كانت في المحرّم سنة أربع عشرة، والأوّل أصحّ وأولى بالصّواب"[7].

---

(١) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، جـ١، ص٢٥٧.

(٢) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص١٣٢، ١٣٣.

(٣) المرجع السابق، جـ١، ص١٣٤.

(٤) المرجع السابق، جـ١، ص١٣٣.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٣٢.

(٦) فتوح البلدان، ص٢٥٥.

(٧) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٧٧.

كما أنّ القادسيّة عند الأصفهانيّ (ت: هـ٣٥٦/٩٦٧م) ثلاثة أيّام، وهي: أغواث، وأرماث، والكتائب[١]، وذكر ابن أعثم أربعة أيّام، وهي: "أرماث"، و "أغواث"، و "السّواد"، و "النفاذ"[٢]، وبعيدا عن أوهام ابن أعثم الكثيرة[٣]، فهذا يعني أنّ أيّام القادسيّة كانت مشهورة عند أهل الأخبار، وإن اختلفت مسمّياتها.

(٧) تحريف سيف ليوم الأباقر:

لقد عقد مرتضى العسكريّ فصلا عن الأيّام التي اخترعها سيفٌ، فذكر منها يوم "الأباقر"، وجزم بأنّ سيفا اخترع بطلا أسطوريّا سمّاه عاصما، ووضع أسطورة مكالمة البقر معه[٤].

ومفاد ما ذكره سيفٌ أنّ سعدا ﷺ وهو مقيم بالقادسيّة –قبل مجيء رستم إليهم– بعث عاصم بن عمرو التّميميّ إلى أسفل الفرات ليأتيهم بميرة للجيش، فطلب غنما وبقرا فلم يقدر عليها، وأصاب رجلا في تلك المنطقة فسأله عنها، فأنكر معرفته بها، وحلف له على ذلك، وإذ بثور يصيح بتكذيب الرّجل، فيستدلّ عاصم بذلك على البقر، ويسوقها إلى سعد[٥].

ولست مع مرتضى العسكريّ في القول باختلاق يوم الأباقر، ولكنّ سيفا حرّف الخبر، فقد ذكر المدائنيّ أنّ الصّحابيّ حنظلة بن الرّبيع الأسيّديّ التّميميّ ﷺ هو صاحب تلك الغارة، وأنّه أتى أسفل الفرات، فلم يصب مغنما، ولم يلق كيدا، فلقي رجلا، فسأله عن مكان العدوّ، أو مكان طعام، أو شاء، أو بقر؟ فلم يصدقهم القول، لكنّهم "سمعوا خوار ثور من غيضة، فدخلوها، فأصابوا بقرا وغنما"[٦].

---

(١) الأغاني، جـ١٩، ص٦، ٧. وكذلك عند ابن عبد البر. الاستيعاب، جـ٤، ص١٧٤٧.

(٢) الفتوح، مج١، ص١٦٠.

(٣) محمد جبر أبو سعدة: ابن أعثم الكوفي ومنهجه التاريخي في كتاب الفتوح، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص١٠٩.

(٤) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، جـ١، ص٢٥٦.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٨٨.

(٦) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٥١.

وعلى هذا فإنّ سيفا قد حرّف القصّة فقط، ولم يختلقها من أساسها، حيث جعل عاصما أميرا للسّريّة مكان الصّحابيّ حنظلة بن الرّبيع الأسيّديّ المعروف بالكاتب، كما جعل الثّور يتكلّم كلام البشر، في حين أنّه خار خوار البقر، فاستدلّ المسلمون بصوته على الثّيران والأبقار.

(٨) تحريف سيف ليوم أرماث:

ثبت بصحيح الأخبار أنّ أوّل هجوم لجيش الفرس على المسلمين في اليوم الأوّل المسمّى "أرماث" كان على قبيلة بجيلة اليمنيّة(١)، فلمّا رهقتهم الحرب واشتدّ عليهم الكرب أمر سعدٌ بن أبي وقّاص ﷺ قبيلة بني أسد بالذّبّ عنهم فسارعوا لنجدتهم(٢).

وزعم سيفٌ أنّ سعدا ﷺ أرسل إلى عاصم بن عمرو وبني تميم ليذبّوا الفيلة عن بني أسد، فعمد إليها جماعة من أهل الثّقافة فاستدبروها فقطّعوا أحزمتها، فسقطت توابيتها بالمقاتلين، وارتفع عواء الفيلة، فما بقي لهم يومئذ فيل إلا أُعْريَ، وقتل أصحابها، وتقابل النّاس، ونُفّس عن بني أسد، بعدما أُصيب منهم خمسمائة، وردُّوا فارس عنهم إلى مواقفهم، "وكان عاصمٌ عادية النّاس وحاميتهم"(٣).

بل زعم سيفٌ أنّه لولا جمع قعقاع بن عمرو التّميميّ وحمّال بن مالك الأسديّ لأكل الفرس قبيلة بجيلة(٤)، وهذا من عجيب تخاليط سيف وأكاذيبه؛ لأنّه يصرّ على أنّ القعقاع كان مع خالد بن الوليد في الشّام، وأنّه وصل القادسيّة على رأس مدد في صبيحة اليوم الثّاني "أغواث"(٥).

---

(١) أبو يوسف: الخراج، ص٤٢؛ ابن أبي شيبة: المصنف، جـ٦، ص٥٥٠.

(٢) الطبري من رواية سيف. تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤١١. والكلاعي من رواية المدائني. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٧٧.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤١٢.

(٤) المصدر السابق، جـ٢، ص٤٣٣.

(٥) المصدر السابق، جـ٢، ص٤١٣.

ولئن جعل مرتضى العسكريّ خبر مدافعة التّميميّين عن بني أسد برمّته من اختلاقات سيف فإنّي أوافقه فقط على افتراء سيف لقيادة عاصم أو القعقاع لبني تميم؛ والصّحيح أنّ صاحبهم آنئذٍ هو زُهرة بن الحويّة التّميميّ، فقد صرخ في قومه قائلا: "قد صبر إخوانكم من بني أسد، وأحسنوا، فذودوا عنهم الفيلة وحماتها، فحمل زهرة في بني تميم، وجريرٌ في بجيلة، فكشفوا المشركين عن بني أسد، وقد استشهد منهم خمسون رجلا، وتحاجزوا قريبا من العصر، فجمعوا بين الصّلاتين، ثمّ عاودوا القتال مطاردة ومشاولة حتّى غابت الشّمس"[١].

وقد أدّى سيفٌ التّميميّ بهذه الرّواية مهمّتين، فأخذ قيادة تميم من القائد زُهْرة بن الحويّة السّعديّ، ودفعها لعاصم بن عمرو الأسيّديّ، كما ضخّم من موقف قومه في الدّفاع عن بني أسد، حيث قتل من الأسديّين خمسمائة رجل[٢]، بينما رواية المدائنيّ تصرّح بأنّ شهداء بني أسد في تلك الجولة لم يجاوزا الخمسين رجلا.

وقد روى المدائنيّ أنّ القائد ذا الحاجب الفارسيّ[٣] التقى حنظلة بن الرّبيع التّميميّ ﷺ في يوم أغواث فاختلفا طعنتين، فصارا جميعا إلى الأرض، فضرب حنظلةُ ذا الحاجب على رأسه فصرعه، فحامت عنه الأساورة، حتّى ركب، وحامى عن حنظلة القعقاعُ بن عمرو التّميميّ، وذريحُ، أحد بني تيم اللات، حتّى ركب[٤].

---

(١) من رواية للمدائني. الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٧٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤١٢.

(٣) ذو الحاجب: هو بهمن جاذويه الملقب بذي الحاجب، وكان قائد الفرس في موقعة الجسر التي انهزم فيها المسلمون بقيادة أبي عبيد الثقفي سنة ١٣هـ/٦٣٤م. خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٢٤؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٤٨.

(٤) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٧٧.

وسيحرّف سيف هذا الخبر، ويهضم حنظلة حقّه للمرّة الثّانية! ويزعم أنّ القعقاع لم يشهد يوم أرماث، وقد قدّم الكلاعيّ رواية المدائنيّ واعتمدها في هذه المبارزة، ومرّض رواية سيف بقوله: "ويقال: إنّ القعقاع لم يشهد يوم أرماث هذا، وإنّما قدم من الشّام بعد انقضائه، فشهد سائر الأيّام وأبلى فيها"[1].

(٩) أكاذيب سيف في يوم أغواث:

زعم سيفٌ أنّ هذا اليوم بدأ بمبارزة الأعور بن قطبة التّميميّ[2] للقائد "شهر براز سجستان"، فقتل كل واحد منهما صاحبه[3]، والصّحيح أنّه لمّا تصاف الجمعان في هذا اليوم تقدّم الصّحابيّ سعد بن عبيد الأنصاريّ الأوسيّ الشّهير بالقاري أمام النّاس يحضّ أصحابه على القتال، فبرز له شهريار السّجستانيّ، فقتل كلّ واحد منهما صاحبه[4]، وقد اغتمّ عمر ﷺ كثيرا لمصاب القاري[5].

وقد عزّ على سيف أن يكون شرف بداية هذا اليوم لغير عشيرته فحوّل المشهد إليهم، ولست مع العسكريّ في القول بعدم حدوث تلك المبارزة من أصلها[6]، والصّحيح أنّ سيفا غيّر المبارز الأنصاريّ إلى آخر من تميم.

ويرى سيف أنّ الفرس تعاقبوا على طلب المبارزة فخرج رجل منهم فبرز له الأعرف بن الأعلم العقيليّ فقتله، ثمّ برز له آخر فقتله، ثمّ برز له آخر فقتله،

---

(١) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٧٧.

(٢) يدرجه العسكري في مختلقات سيف. خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص٢٣١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤١٥.

(٤) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٨٠. وعند البخاري أنّه قام خطيبا في القادسية فلُقِي فقتل. التاريخ الأوسط، تحقيق/ محمود إبراهيم زايد، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، جـ١، ص٥١.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٨٣.

(٦) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص٢٣١.

فأحاطت به فوارس من المجوس فصرعوه، وندر سلاحه عنه فأخذوه، فغبّر في وجوههم بالتّراب، ورجع إلى أصحابه[1].

ويروي المدائنيّ في أخبار هذا اليوم أنّ زهرة بن الحويّة التّميميّ برز لرجل فارسيّ فقتله، فحمل فوارسُ من المجوس على زهرة فعقروا به فرسه، فقاتلهم راجلا، وندر سيفه من يده، فأخذوه، فجعل يحثو في وجوههم التّراب حتّى توافت إليه خيل المسلمين، فكشفوهم عنه[2].

والظّاهر أنّ الموقف لزهرة بن الحويّة وأنّ سيفا نسبه لرجل من قبيلة أخرى، ليغطّي مصرع قائد المقدّمة التّميميّ، وأخذ الأعداء لسيفه، وإنقاذه على يد جنده، وسنرى سيفا بعد ذلك يميت زهرة قبل أجله بستين سنة[3]، ليحافظ له على تاريخه المشرّف.

ويعطي سيفٌ التّميميّ شرف يوم "أغواث" لابن عمّه القعقاع التّميميّ، فيجعل مقدّمة المدد الشّاميّ -ألف مجاهد- الذي أرسله أبو عبيدة بن الجرّاح ﷺ بأمر عمر ﷺ بقيادة القعقاع، ويسرع به إلى القادسيّة حتّى يصل في اللّيلة التي صبيحتها يوم أغواث[4].

والصّحيح أنّ القعقاع كان في العراق، وقد شهد اليوم الأوّل من القادسيّة، وكان له ذكر في القتال كما نصّ على ذلك المدائنيّ[5]، والمخالفون لسيف يجعلون

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤١٥.

(٢) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٨٠.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٥٨، ٤٥٩.

(٤) المصدر السابق، جـ٢، ص٤١٣.

(٥) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٧٧.

قيادة المدد الشّاميّ لقيس بن المكشوح المراديّ[١] في سبعمائة[٢]، والمدد الآخر لعياض بن غنم الفهريّ ﷺ في ألف[٣].

ويزعم سيفٌ أنّ القعقاع تقدّم أمام الصّفوف طالبا المبارزة، فخرج إليه القائد ذو الحاجب الفارسيّ، فتذكّر نكبة المسلمين يوم الجسر، فأخذته الحميّة، فصاح يا لثارات أبي عبيد وأصحاب الجسر، ثمّ لم يمهل ذا الحاجب حتّى أوقعه قتيلاً أمام جنده، وطلب القعقاعُ المبارزة مرّة أخرى -بزعم سيف- فخرج إليه رجلان أحدهما: البَيْرُزان، والآخر: البندوان، فانضمّ إليه الحارثُ بن ظبيان بن الحارث التّيميّ الرّبعيّ، فبارز القعقاع بيرزان فقتله، وبارز ابن ظبيان بندوان - وهو من أبطال الفرس- فقتله أيضا[٤].

وعندما التحم الفريقان اتّصل القتال حتّى المساء، فحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة، وقتل في كلّ مرّة رجلا من الفرس[٥].

وقد جعل سيفٌ القعقاع مبتكرا لفنون الحرب، حيث أشار على قومه بتجليل الإبل ووضع البراقع في وجوهها لتظهر في مظهر يخيف الخيول، فلمّا هجموا بها على خيول الفرس، نفرت بهم، وركبتهم خيول المسلمين[٦].

---

(١) ابن المكشوح: قيس بن هبيرة (المكشوح) المرادي، أحد شجعان العرب وفرسانهم، أدرك النّبيّ ﷺ ولم يره، وشارك في قتل الأسود العنسي الكذّاب، وشهد اليرموك، والقادسيّة ونهاوند وغيرها، وقد غلّط ابن حجر من قال بوفاته في صفين. ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ٤٩، ص٤٨٠؛ ابن حجر: الإصابة، جـ٥، ص٤٠٤- ٤٠٦.

(٢) البلاذري من رواية الشعبي. فتوح البلدان، ص٢٥٣. والطبري من رواية ابن إسحاق. تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٢٨. والدينوري: الأخبار الطوال، ص١٢٠.

(٣) الطبري من رواية ابن إسحاق. تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٢٨.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤١٣.

(٥) المصدر السابق، جـ٢، ص٤١٥.

(٦) المصدر السابق، جـ٢، ص٤١٤.

ويصعب أن تخفى هذه البطولات على رواة الإسلام، ولا تُكشف إلا لسيف التّميميّ، خاصّة وأنّ الرّوايات الموثوقة تخالف ادّعاءاته، حيث يجزم خليفة بن خيّاط بمقتل ذي الحاجب على يد حنظلة بن الرّبيع الأسيّديّ الكاتب ﷺ[١]، كما يروي المدائنيّ أنّهما اختلفا طعنتين في اليوم الأوّل من القادسيّة، فصرع كلّ واحد منها صاحبه، فأنقذه أصحابه، وكان القعقاع بن عمرو أحد رجلين أنقذا حنظلة[٢]، ويضيف خليفة بأنّ ذا الحاجب قتل في آخر يوم بعد مقتل رستم قائد الفرس العام[٣]، ممّا يشير إلى أنّه بارزه في اليوم الأوّل فسلما، ثمّ التقيا في اليوم الأخير فقضى عليه حنظلة ﷺ.

كما أنّ البيرزان كان حيّا بعد القادسيّة، وقد صالح المسلمين على الأهواز[٤]، سنة ١٦هـ/٦٣٧م[٥]، ومن عجيب تخاليط سيف أو استهتاره بالقرّاء ذكره للبيرزان كأوّل المنهزمين في اليوم الرّابع من أيّام القادسيّة[٦].

ويرى الدكتور عمر عبد السّلام تدمري أن البيرزان هو الفيرزان في بعض المصادر، حيث تقلب الفاء باءً بالفارسيّة، كما يقال أصفهان، وأصبهان[٧]، وإن كان هو هو، فسنرى سيفا يقتله بيد القعقاع نفسه في مرحلة لاحقة[٨].

---

(١) تاريخ خليفة، ص١٣٢.
(٢) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٧٧.
(٣) تاريخ خليفة، ص١٣٢.
(٤) الأهواز: تقع منطقة الأهواز في أقصى الشمال الشرقي من الخليج العربي على الحدود العراقية الإيرانية، وكان اسمها خوزستان، جمع حوز أو هوز. ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص٤٠٤؛ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص٢٥٨.
(٥) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٣٤؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٦٦.
(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٢٤.
(٧) ينظر هامش تاريخ الإسلام للذهبي، جـ٣، ص١٤٤، جـ٣، ص١٥٧.
(٨) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٢٨.

(١٠) زيادات سيف في يوم عماس:

يذكر سيفٌ أنّ المسلمين لقوا عنتاً شديداً من الفيلة في هذا اليوم، ثمّ ألهمهم الله فكرة للتّخلّص منها بالطّعن في عيونها، وقطع خراطيمها، فخلا منها مَيدان المعركة، وهاجت عائدة إلى مدائن الفرس، وهلك من عليها من الجند(١).

وينسب سيفٌ مفخرة التّخلّص من الفيل الأبيض (مقدم الأفيال) إلى القعقاع وعاصم التّميميّين، كما يجعل شرف التّخلّص من الفيل الأجرب الذي يقود مجموعة أخرى من الفيلة إلى حمّال بن مالك والرّبّيل بن عمرو الأسديّين(٢).

ويذكر محمد بن عمر الواقديّ (ت: ٢٠٧هـ/٨٢٣م) أنّ عمرو بن معدي كرب الزّبيديّ هو الذي أشار على المسلمين بقطع خراطيم الفيلة، وتمكّن من قتل مقدّم الأفيال(٣).

وكلام الواقديّ أولى بالقبول؛ لأنّ عمرو بن معدي كرب الزّبيديّ مشهودٌ له بالبطولة والغناء في أيّام القادسيّة من ثقات المؤرّخين وأهل الحديث، بخلاف القعقاع؛ لأنّ سيفا يتّهم باختراع أخباره، وليس للواقديّ نسب مع عمرو بن معدي كرب ولا ولاء، بل يروي سيف أنّ عمرو بن معدي كرب استقتل يوم عماس في مهاجمة أحد الأفيال وكاد أن يهلك(٤).

وأرى أنّ سيفا سحب مفخرة القضاء على مقدّم الأفيال من ابن معدي كرب، وترك لبني أسد صنيعهم، وذلك لأنّ المدائنيّ يؤكّد مشاركة بني أسد في التّخلّص من الفيلة، كما يتّفق مع سيف على أن الرّبّيل الأسديّ شارك في طعن أحد الأفيال، وأنّ سائسه ضرب الرّبّيل على وجهه، فتركت فيه علامة مستديمة،

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤١٩.

(٢) المصدر السابق، جـ٢، ص٤٢٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٦، ص٢٧٠؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٧٩.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤١٩.

وذلك على خلاف في عرض القصّة، لأنّ سيفا يجعل عمر ﷺ يقابل الرّبّيل بمكّة، ويرى الخطّ في وجهه، فيتفرّس أنّه صاحب الفيل[1]، ويذكر المدائنيّ أنّ الرّجل الأسديّ قدم مع الغنائم، وأن رفاقه هم الذين أخبروا أمير المؤمنين بخبره[2].

ويضيف ابن أعثم الكوفيّ بأنّ الرّجل الأسديّ يقال له أسد، ويكنى أبا الموت، ولقبه "زبّيبل"[3].

(١١) تحريف سيف لأخبار ليلة الهرير:

يروي سيفٌ أنّ القعقاع كان أوّل من زاحف الفرس في ليلة الهرير بغير إذن من سعد ﷺ، فأقرّه الأمير على صنيعه، ودعا له بالمغفرة والنّصر[4]، وبات سعدٌ بليلة لم يبت بمثلها، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد، وأقبل سعد على الدّعاء، فلمّا كان وجه الصّبح انتمى النّاس، فاستدلّ بذلك على أنّهم الأعلون، وأنّ الغلبة لهم، وكان أوّل شيء سمعه سعد ليلتئذ ممّا يستدلّ به على الفتح في نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو التّميميّ[5].

وقد تحدّث المدائنيّ عن ليلة الهرير فذكر "أنّ عمر ﷺ كتب إلى سعد يسأله: أيّ النّاس كان أصبر بالقادسيّة؟ فكتب إليه سعدٌ: إنّ الحرب ركدت ليلة، فلم أسمع إلا هماهم الرّجال، وهريرهم، ووقْعَ الحديد، فلمّا كان قبيل الفجر سمعت الانتماء من كلّ: أنا ابن معدي كرب، أنا الجذاميّ، أنا المالكيّ من أسد، أنا الأشعريّ، ثمّ صار الانتماء قصره في جذيمة، فلمّا انجلت الحرب رأيت جماعة قتلى في ربضة، فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: من جذيمة النّخع، أصيبوا من آخر اللّيل وهم ينتمون، فنفلّهم عمر خمسة وعشرين فرسا، يعني بني جذيمة"[6].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ٤٩، ص٣٥٥.

(٢) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٥٠٠.

(٣) الفتوح، مج١، ص١٦١.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٢١، ٤٢٢.

(٥) المصدر السابق، جـ٢، ص٤٢٣.

(٦) الكلاعي: الاكتفاء، جـ٢، ص٥٠٠، ٥٠١.

وهذا الخبر يكذّب ادّعاء سيف بأنّ أوّل من انتمى القعقاع، وكلام المدائنيّ يدلّ على أنّ شرف ذلك اليوم لقبائل اليمن؛ لأنّ كلّ القبائل التي انتمى إليها الأبطال في ذلك اليوم من القبائل اليمنيّة، وليس بينهم قبيلة عدنانيّة إلا أسد.

ولا يتّهم المدائنيّ بالتّحيّز لقبائل اليمن، لأنّه من موالي قريش، وهو عالم بالمغازي، وأيّام النّاس، وأخبار العرب وأنسابهم، صدوق فيما يرويه[١].

بل يروي سيفٌ نفسه أنّ دريد بن كعب النّخعيّ -حامل لواء النّخع- صاح في قومه: "إنّ المسلمين تهيّؤوا للمزاحفة فاسبقوا المسلمين اللّيلة إلى الله والجهاد، فإنّه لا يسبق الليلة أحدٌ إلا كان ثوابه على قدر سبقه، نافسوهم في الشّهادة، وطيبوا بالموت نفسا، فإنّه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة، وإلا فالآخرة ما أردتم"[٢].

وهذا يدلّ على سبقهم للنّاس يومئذ، لكنّ سيفا لا يرضى لهم بهذا الفخر، فيذكر حملتهم بعد القعقاع وعاصم وسائر تميم وبني أسد[٣].

(١٢) تزوير سيف للحقيقة في يوم القادسية:

يدّعي سيفٌ أنّ القعقاع هو الذي ألهب مشاعر المسلمين في صبيحة هذا اليوم، وحثّهم على الصّبر ومواصلة القتال، وأخذ يناديهم: "الشّجاعة صبر ساعة"، ثمّ قاد مجموعة من الأبطال، فكان أوّل من وصل إلى سرير رستم قائد الفرس، لكنّه كان قد تحوّل عنه[٤].

ويرى غير سيف أنّ عمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد هما اللذان اندفعا في مجموعة من الأبطال نحو رستم[٥]، والأجدر أن يكون هذا الصّنيع

---

(١) الخطيب: تاريخ بغداد، جـ١٣، ص٥١٦.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٢٢.
(٣) المصدر السابق، جـ٢، ص٤٢٢، ٤٢٣.
(٤) المصدر السابق، جـ٢، ص٤٢٢.
(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٧٩.

لعمرو بن معدي كرب فهو الذي فعل بالفرس الأفاعيل[1]، وكان عظيم الغَنَاء عن المسلمين في القادسيّة، شديد النّكاية في المجوس[2]، وفي رواية للمدائنيّ أنّ رستم قتل على يديه[3]، وقد كتب سعد ﷺ عقب القادسيّة إلى عمر ﷺ يثني على عمرو بن معدي كرب، وصنيعه في القادسيّة[4].

(١٣) أثر سيف في تحريف أشعار القادسيّة:

روى محمد بن إسحاق بسند حسن إلى جرير بن عبد اللّه البجليّ ﷺ أنّه قال عقب موقعة القادسيّة:

أَنَا جَرِيرٌ كُنْيَتِي أَبُو عَمْرِو ** قَدْ نَصرَ اللَّهُ وَسَعْدٌ فِي الْقَصْرِ

فأجابه سعدٌ بن أبي وقّاص ﷺ:

وَمَا أَرْجُو بَجِيلَةَ غَيْرَ أَنِّي ** أُؤَمَّلُ أَجْرَهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ

فقَدْ لَقِيَتْ خُيُولُهُمُ خُيُولا ** وَقَدْ وَقَعَ الْفَوَارِسُ فِي ضِرَابِ

وَقَدْ دَلَفَتْ بِعَرْصَتِهِمْ فُيُولٌ ** كَأَنَّ زُهَاءَهَا إِبِلٌ جِرَابِ[5]

لكن لم ترق هذه الأبيات لسيف التّميميّ في حقّ قبيلة بجيلة اليمنيّة وملاقاتهم لخيول الفرس ومقاتلتهم الفيلة، ولذا حذف منها ذكر الفيول، وأدرج فيها القعقاع بن عمرو التّميميّ منقذا لبجيلة، وقال مجاريا[6]:

وَمَا أَرْجُو بَجِيلَةَ غَيْرَ أَنِّي ** أُؤَمَّلُ أَجْرَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ

وَقَدْ لَقِيَتْ خُيُولُهُمُ خُيُولا ** وَقَدْ وَقَعَ الْفَوَارِسُ فِي الضِّرَابِ

وَقَدْ دَلَفَتْ بِعَرْصَتِهِمْ خُيُولٌ ** كَأَنَّ زُهَاءَهَا إِبِلٌ جِرَابِ

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٦، ص٢٧٠.
(٢) المصدر السابق، جـ٦، ص٢٧١.
(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٣٢.
(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٠٠. والرواية عن الشعبي.
(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٣١.
(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٣٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ٢٠، ص٣٥٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٧، ص٥٣. كلّهم من طريق سيف.

فَلَوْلا جَمْــعُ قَعْقَــاعِ بْــنِ عَمْــرٍو ** وَحَمَّــــالٍ لَلَجُّـــوا فِـــي الْكِـــذَابِ
هُـــمُ مَنَعُـــوا جُمُـــوعَكُمُ بِطَعْـــنٍ ** وَضَـــرْبٍ مِثْـــلَ تَشْـــقِيقِ الإِهَـــابِ
وَلَـــوْلا ذَاكَ أُلْفِيْـــتُمْ رِعَاعًـــا ** تُشَـــلُّ جُمُـــوعُكُمْ مِثْـــلَ الـــذُّبَابِ

ويستحيل أن تخرج هذه الأبيات التي ذكرها سيفٌ مجتمعة من لسان خال رسول الله ﷺ المبشّر بالجنّة، وما كان سعدٌ ﷺ ليثأر لنفسه ويذمّ قبيلة بجيلة ويعيّرها بموقفها الجهاديّ الرّائع بعدما أمّل الأجر في ذلك يوم الحساب، وهذا يدلّ على تمكّن سيف من قول الشّعر ومعارضة الشّعراء ومجاراتهم.

(١٤) تحريف سيف لخبر سلَب الجالينوس الفارسيّ:

ثبت أنّ سعدا ﷺ كلّف زهرة بن الحويّة التّميميّ بتتبّع الفارّين، فانطلق خلفهم حتّى لحقهم، وكان القائد الجالينوس في آخرهم يحميهم، فشدّ عليه زهرة فقتله، وأخذ سلبه[١]، فلما جاء بالسّلَب إلى سعد، نفّله إيّاه[٢].

لكن سيفا التّميميّ لم يفوّت هذا الموقف دون فخر بقبيلته وأبطالها، فزعم أنّ زهرة لمّا أخذ السّلَب لبسه، فانتهره سعدٌ ﷺ لعدم انتظاره إذنه، وانتزعه منه، وكاتب فيه عمر ﷺ، فعاتبه على تصرّفه مع القائد التّميميّ، وأمره أن يُمضي له سلَبه، وخوّفه من إفساد قلبه عليه، وهو لا يزال في حاجة إليه[٣].

(١٥) إماتة سيف لزهرة بن الحويّة قبل أجله بستين عاما:

زعم سيفٌ أنّ زهرة بن الحويّة التّميميّ استشهد في محاصرة المدائن الغربيّة -غربي نهر دجلة- وذكر أنّه كان عليه درعٌ مفصومة، فنصحه أصحابه

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٣٢؛ الطبري من رواية ابن إسحاق. تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٣١؛ الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٩٠.

(٢) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٤٩١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٢٦.

بسرد الفصم، حتّى لا تبقى فيها فتحة تصل منها السّهام، وصارحوه بخوفهم عليه منه، فقال: "إني لكريم على الله إن ترك سهم فارسَ الجند كلّه، ثمّ أتاني من هذا الفصم حتّى يثبت فيّ". وأضاف سيفٌ بأنّ زهرة كان أوّل رجل من المسلمين أصيب يومئذ بسهم، فثبت فيه من ذلك الفصم، ورفض نزع السّهم، وتقدّم نحو صفوف الفرس فقتل أحد أبطالهم، وأحاطوا به فقتلوه(١).

وهذا افتراء من سيف؛ لأنّ أهل العلم بالأخبار متّفقون على أنّ زهرة بن الحويّة التّميميّ لم يلق الشّهادة في هذا الموطن، وإنّما بقي وعاش حتّى كبر، وقتل على يد الخوارج أيّام الحجاج، سنة ٧٧هـ/٦٩٦م(٢).

وقد وقع بعض المحدثين(٣) في الغلط، وراحوا يستخلصون الدّروس والعبر من الخبر المختلق في استشهاد زهرة بن الحويّة عند العاصمة الفارسيّة.

(١٦) أكاذيب سيف في فتح المدائن الغربية:

ولمّا أزاح سيفٌ البطل القائد زهرة بن الحويّة التّميميّ من طريقه أبد الدّهر جعل فتح المدينة على يد رجلين من عشيرته الأقربين، هما أبو مفزّر

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٥٨، ٤٥٩.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٧٥؛ البلاذري: أنساب الأشراف، جـ٣، ص٣١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص٥٨٢، ٥٨٣؛ الدارقطني: المؤتلف والمختلف، تحقيق/ موفق عبد الله عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، جـ١، ص٤٦٢؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢٢١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، جـ٢، ص٣٢١؛ ابن ناصر الدين: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق/ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، جـ٢، ص٥٠٩؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٢، ص٤٧٢.

(٣) عبد العزيز عبد الله الحميدي: التاريخ الإسلامي، دروس وعبر، دار الدعوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، جـ١١، ص١٦١، ١٦٢؛ علي محمد محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار الفجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٥٢٢.

الأسود بن قطبة العمْري[١]، والقعقاع بن عمرو العمْري دون حرب ولا مشقّة[٢]، وذلك بكلام غير مفهوم أجراه الله على لسان أبي مفزّر جوابا لرسول الفرس، فتركوا البلد وانصرفوا هاربين[٣].

وبهذا فقد طمس سيفٌ أخبار القائد زهرة بن الحويّة التّميميّ في الجهاد والفتوح بعد القادسيّة، وأعانه الطّبريّ على ذلك، وقد علّق الكلاعيّ على صنيع سيف وخبره المكذوب بقوله: "وسيأتي بعد من أخبار زهرة بن "الجويّة" وآثاره في الوقائع التي لا شكّ في كونها بعد هذه ما يوهن خبر قتله المذكور آنفا، والأولى بحسب هذا -إن شاء الله- أن يكون غير زهرة هو صاحب هذه القصّة؛ إذ قد ذكر المدائنيّ أنّ هاشم بن عتبة قال لزهير بن سليم الأزديّ، ويقال لغيره، ورأى في درعه فصما: إنّي لا آمن أن تصيبك نشّابةٌ في هذا الموضع، فلو سردته قال: لئن تركتْ نشابة الفارسيّ جسدي كلّه إلا هذا الموضع إنّي إذا لسعيد، ثمّ ذكر نحو ما تقدّم"[٤].

والصّحيح في فتح المدائن الغربيّة "بَهُرسير" من غير طريق سيف أنّه كان بعد حصار طويل، أكل المسلمون فيه الرّطب مرّتين[٥]، وضحّوا أضحيتين[٦].

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص٤٥٩.

(٢) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٢٦٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص٤٥٩.

(٤) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٥١٠.

(٥) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٢٦؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٥٨.

(٦) الدّينوري: الأخبار الطوال، ص١٢٦.

(١٧) مزاعم سيف في عبور دجلة:

زعم سيفٌ أنّ سعدا ﷺ انتدب النّاس لعبور نهر دجلة وهو يقذف بالزّبد من شدّة فيضانه في صفر سنة ١٦هـ/٦٣٧م، فكان عاصم بن عمرو التّميميّ أوّل مجيب، حيث أسرع في كتيبة من ستّمائة فارس عرفت بكتيبة "الأهوال"، فعبروا إلى الضّفّة الأخرى، وتمركزوا عليها لحماية الجند أثناء العبور، وادّعى سيفٌ أنّ عاصما ورجاله اشتبكوا مع القوّة الفارسيّة المقيمة على الفراض "الشّواطئ"، فأعملوا الرّماح في عيونها حتّى هزموها وطردوها من أماكنها، وسيطروا على الضِّفّة الأخرى للنّهر، وأمّنوا طريق عبور الجيش الإسلاميّ[١].

وتلت الأهوالَ كتيبةُ القعقاع التي تسمّى "الخرساء" في العبور إلى الضّفة الأخرى، ولم يأذن سعدٌ ﷺ بعبور الجيش إلا بعدما استوى قعقاع وعاصم بجنديهما على الشّاطئ المقابل، وأمّنا طريق العبور، وقد سلم الجيش كلّه أثناء العبور إلا غرقدة البارقيّ[٢] الذي زال عن ظهر فرسه، وكاد أن يهلك، مع أنّه كان من أشدّ النّاس، فانتشله القعقاع وأنقذه، فقال البارقيّ: "أعجزْتَ الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع"، وكان للقعقاع فيهم خؤولة[٣].

ويحار القارئ من بطولات القعقاع التّميميّ الخارقة التي يحبكها له سيف، فبينما هو مرابط على الشّاطئ الفارسيّ لحماية الجيش، إذ به يخوض الماء في مقدّمة جيش سعد ﷺ! وعندما يغرق خاله البارقيّ يثني عنان فرسه ويسرع لإنقاذه![٤].

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٦٠.
(٢) البارقي: ينسب إلى قبيلة بارق، وهي بطن من خزاعة. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـ١، ص٥٧.
(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٦١.
(٤) المصدر السابق، جـ٢، ص٤٦١.

ويخالف ابن إسحاق مزاعم سيف، فيروي أنّ سعدا ﷺ سرّح جنده خلف الفرس بقيادة حليفه خالد بن عُرْفُطَةَ، ووجّه معه عياض بن غَنْمٍ الفهريّ ﷺ في أصحابه، وجعل ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص على المقدّمة، وعلى الميمنة جريرَ بن عبد اللّه البَجليّ ﷺ، وعلى الميسرة زهرة بن الحويّة التّميميّ، ثمّ اتّبعهم سعدٌ بمن معهُ، فلمّا وضعوا على دجلة العسكر والأثقال طلبوا المخاضة، فلم يهتدوا لها، حتّى أتى سعدًا علجٌ من أهل المدائن، فخرج بهم على مخاضةٍ قُطْرَبُّلَ[١]، فكان أوّل من خاض المخاضة هاشم بن عتبة فِي رجْلِه، فلمّا جاز اتّبعته خيلُه، ثمّ أجاز خالدُ بن عُرْفُطَةَ بخيله، ثمّ أجاز عياضُ بنُ غَنْمٍ بخيله، ثمّ تتابع النّاسُ فخاضوا حتّى أجازوا، ثمّ ساروا حتّى انتهوا إلى مُظْلِمِ ساباط[٢]، فتردّد النّاس خشية أن يكون به كمين للفرس، وجَبُنوا عنه، فكان أوّل من دخلهُ بجيشه هاشمُ بنُ عتبة، فلمّا أجاز ألاحَ للنّاس بسيفه، فعرف النّاسُ أن ليس به شيءٌ يخافونه، فأجاز بهم خالدُ بنُ عرفطة[٣].

وتفيد روايات الواقديّ بأنّ رجلا -لم يذكر اسمه- دلّ المسلمين على مخاضة واقتحمها أمامهم[٤]، ويتحصّل من مقارنة الرّوايات الواردة في عبور دجلة والجمع بينها أنّ هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص القرشيّ كان أوّل من سبق جند المسلمين في نزول النّهر بعد الرّجل الفارسيّ الذي تعاون مع المسلمين ودلّهم على المخاضة.

---

(١) قُطْرَبُّلُ: قرية من كور بغداد، تقع بين بغداد وعكبرا. ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص٣٧١.

(٢) مظلم ساباط: موضع قرب المدائن. ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص١٥٢.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٣١، ٤٣٢.

(٤) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٣٣؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٥٩.

وتؤكّد رواية المدائنيّ أنّ جيش المسلمين عبر دجلة عن طريق مخاضة، وأنّ قوما من العجم ممّن اعتقدوا ذمّة من سعد ﷺ دلّوه على موضع أقلّ غمرا من غيره[١].

ولم ينفرد سيفٌ بذكر غرق الرّجل أثناء العبور؛ فقد روى خليفة بن خياط بسنده إلى أبي عثمان النّهديّ[٢] أنّه قال: "غرق يومئذٍ رجل كان على فرس شقراء زلّ عن ظهرها، وخرجت الفرس تنفض عرقها"[٣].

ونصّ الدّينوريّ (ت: ٢٨٢هـ/٨٩٥م) على أنّ الرّجل الغريق كان من قبيلة طيئ اليمنيّة، وسمّاه سليك بن عبد الله[٤].

وبهذا يخالف سيفٌ أهل العلم في خبر عبور دجلة، فيجعل عاصما والقعقاع أوّل المقتحمين، وأسرعَ النّاس عبورا إلى الضّفة الأخرى، كما يزيد في ماء دجلة حتّى يجعله فيضانا عظيما، وبذلك يطمس الحقيقة التّاريخيّة للمسلمين عامّة، ولتميم خاصّة؛ لأنّه أضاع دورهم الحقيقيّ خلف قائدهم زهرة بن الحويّة، الذي كان على رأس الميسرة في جيش العبور.

ولم يكتف سيفٌ بما حازه للقعقاع من بطولات، بل أسرع به في تتبّع فرّار الفرس، وقتل به فارسهم الذي يحميهم، وأخذ له سلَبه، فإذا فيه سلاح كسرى، وهرمز، وقبّاذ، وفيروز، وبهرام شوبين، وسياوخش، وكلّهم من ملوك الفرس،

(١) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٥١١، ٥١٢، ٥٢٠.

(٢) أبو عثمان النّهدي: عبد الرحمن بن مُلّ بن عمرو النهدي القضاعي، أسلم على عهد النّبيّ ﷺ ولم يره، وهاجر إلى المدينة في خلافة عمر ﷺ، وسكن الكوفة، فلمّا قتل بها الحسين ﷺ تحوّل عنها إلى البصرة، ولقي كثيرا من الصحابة، وحدّث عنهم، وكان ثقة فيما يرويه، وشهد القادسيّة وغيرها من الفتوح، وعاش مائة وثلاثين سنة. ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٩، ص٩٦؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جـ٧، ص٦٠.

(٣) تاريخ خليفة، ص١٣٤.

(٤) الأخبار الطوال، ص١٢٦.

إضافة إلى سلاح خاقان ملك التّرك، وداهر ملك الهند، وهرقل قيصر الرّوم، والنّعمان ملك العرب. وأضاف بأنّ القعقاع جاء بالسّلَب إلى سعد ﷺ فخيّره بين أحد الأسياف، فاختار سيف هرقل فدفعه إليه، كما أعطاه درع بهرام، ونفّل بقيّة الأسياف والدّروع في كتيبة القعقاع، إلا سيف كسرى والنّعمان فبعث بهما سعدٌ إلى عمر ﷺ، لتسمع بذلك العرب لمعرفتهم بهما، وليراه المسلمون(١).

وليس ببعيد أن يجد أحد الفرسان مثل هذه الأسلحة في تركة كسرى، لكنّ سيفا لا يصبر حتّى يكشف لنا عن السّبب الذي دفعه لمثل هذه الافتراءات المختلقة، حيث يختم حديثه بقوله: "وعلى هذا الوجه سلب خالد بن سعيد(٢) عمرو ابن معدي كرب سيفه الصّمصامة في الرّدّة، والقوم يستحيون من ذلك"(٣).

إنّ سيفا قد قتل زهرة بن الحويّة التّميميّ -قائد تميم وفارسها في تلك المواقع الكبيرة- قبل أجله بستّين سنة، فضاق صدره ببطولات فارس اليمن عمرو بن معدي كرب الزُّبيديّ، الذي تجمع المصادر على دوره العظيم في القادسيّة وما بعدها، ولذا لم يجد إلا الكذب الصّريح لصالح القعقاع التّميميّ، ليحرز تلك البطولات العالميّة لعشيرته الأقربين.

والثّابت الذي يجمع عليه أهل العلم بالأخبار أنّ خالد بن سعيد الأمويّ ﷺ مرّ بعشيرة عمرو بن معدي كرب الزّبيديّ فلم يسمع أذانا فسباهم، فأتاه عمرو

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٦٥.

(٢) خالد بن سعيد: هو خالد بن سعيد بن العاص الأموي، أسلم قديما، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وظلّ بها حتّى عاد عقب فتح خيبر، واستعمله النّبيّ ﷺ على بعض صدقات اليمن، فكان عليها حتّى وفاة النّبيّ ﷺ، واستشهد في فتوح الشام. ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٤، ص٨٨- ٩٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ١٦، ص٦٧.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٦٥.

فكلمه فيهم، فوهبهم إيّاه، فوهب له عمرو سيفه الصّمصامة، فتسلّحه خالد بن سعيد ﷺ[1].

(١٨) ذهول سيف في خبر دخول المدائن:

زعم سيفٌ أنّ الكتيبتين التّميميّتين: "الأهوال"، و "الخرساء" اللّتين يقودهما عاصم والقعقاع هما أوّل ما دخل من الجند مدائن كسرى القصوى وسلك طرقها، والعجب العجاب أن ينسى سيفٌ نفسه فيحيي نفس زهرة بن الحويّة بعد موتها، ويروي أنّ سعدا ﷺ لمّا نزل قصر كسرى الأبيض سرّح زهرة بمقدّمات الجيش في آثار الفرس[2].

ولقد خسرت الحقيقة التّاريخيّة خسارة عظيمة بضياع مؤلّفات المؤرّخ الموثوق أبي الحسن المدائنيّ، ولا نعرف السّبب الذي جعل ابن جرير الطّبريّ يقدّم روايات سيف بن عمر التّميميّ عليها مع توثيقه للمدائنيّ وثنائه عليه[3].

وقد أشار الكلاعيّ لرواية المدائنيّ المخالفة لسيف بقوله: "وذكر أبو الحسن المدائنيّ في فتوح العراق خبر المدائن، فخالف فيه كثيرا ممّا تقدّم، وزاد،

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٢٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٢، ص٤٢٢؛ البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ٢، ص٦٥١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ١٦، ص٧٣؛ السهيلي: الروض الأنف، تحقيق/ عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، جـ١، ص١٣٣؛ الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص١٥٨، ١٥٩. وأورد ابن حجر هذا الخبر من تاريخ ابن أبي شيبة. الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٤، ص٥٦٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٦٢.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، جـ١٦، ص٢٩٠؛ سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص٤٠١؛ ابن حجر: لسان الميزان، جـ٦، ص١٤.

ونقص، وسأذكر من ذلك ما يحسن ذكره على سبيل الاختصار والتّوخّي لحذف ما يكون ذكره تكرارا إلا ما يعتاض فضله من الحديث للحاجة إليه"[١].

وبهذا يتبيّن لنا أنّ فتوح العراق التي تعتمد أغلب المصادر والمراجع فيها على رواية سيف بن عمر التميميّ تحتاج إلى إعادة كتابة، وإلى مقارنة جادّة مع الرّوايات الصّحيحة، وأقوال المؤرخين الثّقات.

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٥١٩.

المبحث الرابع

أكاذيب سيف في فتوح بلاد فارس

لم تكن البلاد الفارسيّة الأصليّة متّسعة المساحة[1]، ولكنّ الأكاسرة السّاسانيّين[2] أخضعوا كثيرا من الأقاليم المجاورة لدولتهم من الجهات الأربعة، ومن بينها العراق العربيّ[3]، الذي سبق الحديث عنه. ولذا سيقتصر الكلام هاهنا عن مختلقات سيف وأكاذيبه لقومه في فتوح البلاد الفارسيّة الأعجمية.

(١) أكاذيب سيف في فتح السّوس:

روى سيفٌ في حوادث ١٧هـ/٦٣٨م أنّ الأسود بن ربيعة التّميميّ المعروف بالمقترب تولّى قيادة جند البصرة في فتح السّوس[4] مكان أبي موسى الأشعريّ ﷺ الذي انصرف إلى البصرة بأمر عمر ﷺ، وكان القائد العام في فتح

---

(١) تضمّ أرض فارس الأصليّة خمس كور، وهي: إصطخر، سابور، أردشير خرّه، دارابجرد، وأرّجان، والأخيرة هي أوّل حدود فارس من جهة العراق. ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) الساسانيون: هم الطّبقة الرابعة من ملوك الفرس، يعرفون بالأكاسرة والساسانيين، وأوّلهم أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر الذي وحّد الإمبراطورية الفارسيّة، وأنهى إمارات الطوائف التي تقاسمتها، وآخرهم يزدجرد الذي قتل في عهد عثمان ﷺ. الدينوري: الأخبار الطوال، ص٤٢؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، تحقيق/ محمد زينهم عزب، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، جـ١، ص٦٨.

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أحوال العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق/ خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، جـ٢، ص١٩٩، ٢٠٠.

(٤) السوس: بلدة بإقليم خوزستان المجاور للعراق، وبها قبر دانيال النّبيّ ﷺ. ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص٢٨٠.

السّوس أبا سبرة[1] القرشيّ، ولم يتمكّنوا من فتحها إلا بمعاونة ابن صيّاد الدّجّال[2]، الذي دقّ بابها برجله، فتقطّعت السّلاسل، وتكسّرت الأغلاق، وزعم سيفٌ أنّ أهل السّوس كانوا قد أشرفوا على المسلمين المحاصرين لهم، وأخبروهم أنّ مدينتهم لن تفتح إلا للدّجّال أو قوم معهم الدّجّال[3].

وقد ضعّف الطّبريّ الرّواية التي تخيّلها سيف، وقدّم عليها رواية المدائنيّ التي تذكر فتح السّوس على يد أبي موسى الأشعريّ ﷺ الذي حاصر أهلها مدّة، ثمّ صالحوه عندما علموا بهزيمة الفرس في موقعة جلولاء[4].

ويؤكّد البلاذريّ على قيادة أبي موسى لجيش فتح السّوس، وأنّه حاصر أهلها، "حتّى نَفِد ما عندهم من الطّعام، فضرعوا إلى الأمان"[5].

والعجب من الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) عندما يذكر خبر معاونة صاف بن صيّاد للمسلمين في فتح السّوس عن سيف بن عمر الكذّاب

---

(١) أبو سبرة: هو أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزّى القرشيّ العامري، أحد السّابقين إلى الإسلام، شهد بدرا والمشاهد كلّها، وذكر الزبير بن بكار والواقدي أنّه أقام بمكة بعد وفاة النّبيّ ﷺ إلى أن مات في خلافة عثمان ﷺ، ونصّ الزبير على أنّه لا يعلم أحدا من أهل بدر رجع إلى مكّة فسكنها غير أبي سبرة، وذكر الواقدي أنّ ولد أبي سبرة ينكرون رجوعه وموته بمكة ويغضبون من ذلك. البلاذري: أنساب الأشراف، جـ١، ص٢١٨، ٢١٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ٤، ص١٦٦٦؛ ابن حجر: الإصابة، جـ٧، ص١٤١، ١٤٢.

(٢) ابن صيّاد: هو صاف بن صيّاد، كان يتكهّن ويدّعي النبوّة على عهد النّبيّ ﷺ، وكان أبوه من اليهود، ولا تعرف له قبيلة، وقد اختلفت الروايات في حياته ونهايته اختلافا كبيرا. السهيلي: الروض الأنف، جـ٢، ص٢٠١؛ ابن حجر: الإصابة، جـ٥، ص١٤٨.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٠٤.

(٤) المصدر السابق، جـ٢، ص٥٠٣.

(٥) فتوح البلدان، ص٣٦٧. ويؤكد خليفة بن خياط والدينوري فتح السوس على يد أبي موسى الأشعري. تاريخ خليفة، ص١٤٠؛ الأخبار الطوال، ص١٣٢.

مسلّما به[1]، وقد ثبت "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الْحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لابْنِ صَيَّادٍ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَرَفَضَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَاذَا تَرَى؟ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خُلِّطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ذَرْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلاَ خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ"[2].

ولا معنى لذكر بعض العلماء صاف بن صيّاد في الصّحابة كما قال الحافظ ابن حجر[3]، وليس لأبي سبرة القرشيّ ذكرٌ في فتح السّوس إلا من طريق سيف، وقد أحسن الطّبريّ صنعا هاهنا عندما قدّم رواية المدائنيّ على روايته.

(٢) فتح جنديسابور:

زعم سيف أنّ الصّحابيّ التّميميّ زرّ بن عبد الله بن كليب الفقيميّ كان محاصرا لأهل نهاوند سنة ١٧هـ/٦٣٨م، فكتب إليه عمر ﷺ يأمره بالتّوجّه إلى

---

(١) البداية والنهاية، جـ٧، ص١٠١.

(٢) البخاري: الصحيح، (كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، وهل يعرض على الصّبيّ الإسلام)، جـ٣، ص١١١٢، ح٢٨٩٠؛ مسلم: الصحيح، (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد)، جـ٤، ص٢٢٤٤، ح٢٩٣٠.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٥، ص١٤٩.

"جُنْدَيْسابُور"[1]، فسار حتّى نزل عليها، وضرب عليها الحصار، ثمّ أتاه أبو سبرة بجنده بعد فتح السّوس، فأقاموا عليها يغادونهم ويراوحونهم القتال، إلا أنّ عبدا يدعى مكنفا كان أصله من جنديسابور كتب إلى قومه كتاب أمان ورماه إليهم، ففتحوا أبواب المدينة، وانبثّ النّاس، فخرجوا بالسّرح، وأقاموا الأسواق، ولمّا علم المسلمون بأمر العبد راسلوا عمر ﷺ في ذلك، فأمرهم بإنفاذ العهد لهم[2].

ولا يُتابع سيفٌ على هذا الخبر الأسطوريّ، فما كان الفرس بهذه السّذاجة حتّى يفتحوا أسوار بلدهم بكتاب لا يُعلم مصدره، وقد اعتاد سيفٌ على ذكر مثل هذه الخرافات في فتوح البلدان، كما سبق في المدائن الغربيّة، والسّوس، كما أنّه لا يوجد ذكر لأبي سبرة القرشيّ في جنديسابور من غير طريق سيف.

ويخالف البلاذريّ سيفا، فيذكر خبرا معقولا فيقول: "سار أبو موسى إلى جنديسابور، وأهلها منخوبون[3]، فطلبوا الأمان، فصالحهم على أن لا يقتل منهم أحدا، ولا يسبيه، ولا يعرض لأموالهم سوى السّلاح"[4].

(٣) تحريف سيف لأخبار وقعة جلولاء:

زعم سيف أنّ فلول الفرس لمّا هربوا من المدائن ووصلوا جلولاء[5] اجتمعوا على "مهران"، فكتب المسلمون إلى عمر ﷺ بالخبر، فأمر سعدا ﷺ أن يوجّه إليهم ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص، وأن يجعل على مقدّمته القعقاع بن عمرو التّميميّ، كما أمره أن يجعل القعقاع مسلحة للمسلمين بين

---

(١) جنديسابور: مدينة بإقليم خوزستان. ياقوت: معجم البلدان، جــ٢، ص١٧٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جــ٢، ص٥٠٥.

(٣) منخوبون: جمع منخوب، وهو الجبان الذي لا فؤاد له من شدّة الخوف. ابن منظور: لسان العرب، جــ١، ص٧٥٢.

(٤) فتوح البلدان، ص٣٧١.

(٥) جلولاء: بلدة عراقية في طريق خراسان. ياقوت: معجم البلدان، جــ٢، ص١٥٦.

السّواد وبين الجبل إذا هزم الله الفرس، وأضاف بأنّ هاشما توجّه بجيشه سنة ١٦هـ/٦٣٧م فضرب الحصار على جلولاء التي خندق عليها الفرس وأحاطوها بحسك الخشب إلا طرقهم، وأنّ المسلمين زاحفوهم ثمانين زحفا ظفروا فيها كلّها، وغلبوهم على حسك الخشب فاتّخذوا حسك الحديد، ولم يزل المسلمون يزاحفون الفرس في حروب شديدة حتّى وصل القعقاع يوما إلى باب خندقهم وأمر رجلا ينادي المسلمين: "هذا أميركم قد دخل الخندق"، فاندفع المسلمون إليه وهم يحسبونه هاشم بن عتبة، فلم يقم لهجومهم شيء، وهام الفرس على وجوههم، وأكثر المسلمون فيهم القتل، حتّى بلغ عددهم مائة ألف، فجلّلت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه، فسميت جلولاء بما جلّلها من قتلاهم، فهي جلولاء الوقيعة[١].

وينفرد سيفٌ بذكر قيادة "مهران" للفرس في جلولاء، إذ يجمع أهل العلم بالأخبار على أنّ قيادة الفرس يومئذ كانت لخرّزاد بن هرمز[٢].

ومجمل الوقعة من غير طريق سيف أنّ الفرس لمّا اجتمعوا بجلولاء خندقوا على أنفسهم، وتعاهدوا على ألا يفرّوا، وجعلت الأمداد تتوالى عليهم، فكتب سعدٌ إلى عمر ﷺ بالخبر، فأمره أن يوجّه إليهم جيشًا، فسيّر إليهم اثني عشر ألف مقاتل[٣]، بقيادة ابن أخيه هاشم بن عتبة[٤]، ونزل المسلمون على عدوّهم، فوجدوهم قد أعدّوا عدّة عظيمة، وتحرّزوا بالخنادق، فقاتلوهم قتالا شديدا، وكتب هاشم إلى عمّه يطلب المدد[٥].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٦٨، ٤٦٩.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٣٦؛ الدّينوري: الأخبار الطوال، ص١٢٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٨٥؛ الكلاعي من رواية المدائني. الاكتفاء، جـ٢، ص٥٢٧.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٨٥. وعند المدائني أربعة آلاف. الكلاعي: الاكتفاء، جـ٢، ص٥٢٧.

(٤) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٣٦، ١٣٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٨٥.

(٥) الدّينوري: الأخبار الطوال، ص١٢٧، ١٢٨.

وبينما المسلمون ينتظرون المدد أتى الفرسَ جمعٌ عظيم، فعاجلوهم القتال، فجال المسلمون وانكشفوا، فناداهم هاشم: "يَا معشر الْمُسلمين، أَيْن أَيْن، أما رَأَيْتُمْ مَا خَلّفْتُمْ، وتأتون عُمَر منهزمين، فعطف الْمُسلمُونَ"[1]، وعلى ميمنتهم حُجْرُ بن عديّ الكنديّ ﷺ، وعلى ميسرتهم عمرو بن معدي كرب الزّبيديّ، وعلى الخيل زهرة بن الحويّة التّميميّ، وعلى الرّجّالة طليحة بن خويلد الأسديّ[2].

واقتتل الفريقان قتالا شديدا، وكتائب الفرس تطلع عليهم واحدة تلو الأخرى، فأشار طليحة بن خويلد وعمرو بن معدي كرب على فرسان المسلمين أن يلزموا الأرض ويقرنوا خيولهم، ففعلوا، وجثوا، وأشرعوا الرّماح، فرجعت الخيل عنهم، ورموهم بالنّشّاب، فتترّسوا، فمكثوا بذلك مليّا، وأشفق المسلمون، فحضّهم طليحة وزهرة وعمرو، فبينا هم على ذلك إذ سمعوا تكبيرا للمسلمين وراءهم، فإذا قيس بن هبيرة قد جاءهم في ألف وأربعمائة فارس وستمائة راجل، فانهزم المشركون قبل أن يصل إليهم، وبعث الله ريحاً مظلمة أعمت الفرس عن خندقهم فتهافت فيه فرسانهم، وركب المسلمون أكتاف الفرس[3]، فهلكوا في حسك الحديد[4]، وسمّيت الوقعة بجلولاء "لما تجلّلها من الشّر"[5].

وبهذا يحرّف سيفٌ التّاريخ الإسلاميّ عامّة، وتاريخ بني تميم خاصّة، حيث يجعل القعقاع التّميميّ مكان زهرة بن الحويّة التّميميّ، الذي كان قائدا للفرسان في جلولاء، وقام بدورٌ كبير في رفع معنويّات المسلمين.

كما همّش سيفٌ بقيّة أبطال المعركة من اليمنيّين كقيس بن المكشوح المراديّ، وعمرو بن معدي كرب الزّبيديّ، وحجر بن عديّ الكنديّ ﷺ، إضافة إلى

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٣٧. وقد جعل المدائني هذا القول لسعد بن أبي وقّاص. الكلاعي: الاكتفاء، جـ٢، ص٥٢٨.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٢٨؛ الكلاعي: الاكتفاء، جـ٢، ص٥٢٨. رواية المدائني.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٢٨؛ الكلاعي: الاكتفاء، جـ٢، ص٥٢٨. رواية المدائني.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٨٥؛ الكلاعي: الاكتفاء، جـ٢، ص٥٢٨. رواية المدائني.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٣٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ٣، ص١٦١.

طليحة بن خويلد الأسديّ المضريّ، فجعلهم يقدمون على الجيش في الأمداد، ولم يجعل لهم ذكرا في المعركة إلا اتّباع القعقاع الذي صاح في الجند وحمّسهم لمواصلة القتال وإحراز النّصر، حتّى تمّ ما خطط له[1].

(٤) مزاعم سيف في فتح حلوان:

زعم سيفٌ أنّ سعدا ﷺ وجّه القعقاع عقب وقعة جلولاء إلى حُلْوان[2]، لتتبّع فلول الفرس، وليكون ردءا للمسلمين، ومرابطا أمام كسرى حيث هرب، فأدرك القعقاعُ "مهران" فقتله، وفرّ "الفيرزان" باتّجاه الشّرق، وبلغت هذه الأنباء يزدجرد، فرتّب على حلوان حامية عسكريّة للدّفاع عنها، وهرب إلى الرَّيّ[3]، والتقى الفرسُ المسلمين خارج حلوان، وجرت بينهما معركة قاسية، هزم فيها الفرس، ودخل القعقاع حلوان، وظلّ بها حتّى تحوّل سعد إلى الكوفة[4].

وبهذا يتبيّن أنّ سيفا يتلاعب بأرواح القادة المسلمين والفرس كيفما يشاء، فإذا كان قد قتل زهرة بن الحويّة التّميميّ قبل أجله بنحو ستّين سنة، فإنّه أبقى القائد الفارسيّ مهران الذي قتل في القادسيّة[5]، أو قبلها[6]، وجعله قائدا

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٧٠.

(٢) حلوان: مدينة عراقيّة، تقع في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص٢٩٠.

(٣) الرّيّ: جعلها ياقوت قصبة إقليم الجبال. وقال البكري: تنسب إلى الجبل وليست منه، بل هي أقرب إلى خراسان. وتقوم على مدينة الرّي الآن العاصمة الإيرانية طهران. معجم البلدان، جـ٣، ص١١٦؛ معجم ما استعجم، جـ٢، ص٦٩٠؛ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٢٧٢.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٧٠.

(٥) الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق/ عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، جـ٥، ص١٣٠؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٦، ص٢٤٦.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٥٠، ٣١٠؛ الطبري من رواية ابن إسحاق. تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٧٦؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢٠٤.

للفرس في جلولاء، ثمّ هرّبه إلى حلوان، وذلك ليحصد أكبر عدد من قادة الفرس على يد قريبه القعقاع التّميميّ.

والصّحيح في خبر فتح حلوان أنّه لمّا فرغ المسلمون من جلولاء الوقيعة ضمّ هاشم بن عتبة خيلا كثيفة إلى جرير بن عبد الله البجليّ ورتّبه بجلولاء ليكون بين المسلمين وبين عدوّهم، ثمّ بعث سعدٌ ﷺ بزهاء ثلاثة آلاف مقاتل إلى جرير، وأمره بالمسير إلى حلوان لتعقّب يزدجرد، فلمّا اقترب منها هرب الملك الفارسيّ إلى أصبهان[1]، ففتح جريرٌ حلوان صلحا، وكفّ عن أهلها، وأمّنهم على دمائهم، وسمح بالخروج لمن أحبّ منهم على أن لا يتعرّض له[2].

ويؤكّد ابن أعثم الكوفيّ أنّ جرير بن عبد الله البجليّ هو الذي أقام مسلحة للمسلمين في حلوان[3].

(٥) مخالفة سيف لأهل العلم في أخبار وقعة نهاوند:

وقعت معركة نَهَاوَند[4] بين المسلمين والفرس سنة ٢١هـ/٦٤٢م[5]، فجعل سيفٌ "الفيرزان" قائدا عاما للجيش الفارسيّ[6]، وعند غيره أنّ القيادة كانت

(١) أصبهان: مدينة إيرانية عريقة، تقع على بعد ٤٠٠ كم جنوب العاصمة طهران. عبد الحكيم العفيفي: موسوعة ألف مدينة إسلامية، ص٥٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٢١.

(٣) الفتوح، مج١، ص٢١٩.

(٤) نِهاوند: مدينة عظيمة في إقليم الجبال. ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص٣١٣.

(٥) يعتمد هذا التأريخ محمد بن إسحاق وأبو معشر والواقدي. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥١٨. وهو تأريخ المدائني أيضا. الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٥٧١. ويرى أبو مخنف وابن الكلبي أنّها وقعت سنة ١٩هـ/٦٤٠م. البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٩٨؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٢٦. وقد قدّمها سيف إلى سنة ١٨هـ/٦٣٩م. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥١٨.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٢٤.

لخرّزاد بن هرمز[١]، أو مردان شاه بن هرمز[٢]، الملقّب بذي الحاجب[٣]، أو ذي الحاجبين[٤]، أو ذي الجناحين[٥]، أو ذي الفروة[٦].

وجاء في بعض الرّوايات أنّ اسمه "بندار"[٧]، وجوّز ابن حجر أن يكون "بندار" اسما أو لقبا لقائد الفرس في نهاوند[٨]، وفي رواية أنّ القائد الفارسيّ هو "بَنْذَاذِقَان"[٩]، ويبدو أنّه محرّف عن بندار.

ويفهم مما ذكره ابن أعثم الكوفيّ أنّ "بندار" هو أحد القادة المقدّمين على الفرس، وليس القائد العام[١٠].

---

(١) ابن حجر: نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق/ عبد العزيز محمد صالح السديري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، جـ١، ص٢٨٥.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٣٤؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٢٢.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٢٢؛ الكلاعي من رواية المدائني. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٥٥٨. وذكر ابن حجر أنّ ذا الحاجب لقب لخرزاد بن هرمز. نزهة الألباب في الألقاب، جـ١، ص٢٨٥.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٢٣؛ الحاكم: المستدرك، جـ٣، ص٣٣٢.

(٥) أبو يوسف: الخراج، ص٤٣؛ ابن أبي شيبة: المصنف، جـ٦، ص٥٥٩؛ ابن حجر: نزهة الألباب في الألقاب، جـ١، ص٢٨٥.

(٦) الكلاعي من رواية المدائني. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٥٥٨. وعنده أنّ ذا الفروة هو ذو الحاجب.

(٧) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٢٠.

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، ومحبّ الدّين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، جـ٦، ص٢٦٥.

(٩) ابن حبان: الصحيح، (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)، ترتيب/ علاء الدين بن بلبان، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، جـ١١، ص٦٤.

(١٠) الفتوح، مج١، ص٣٠٢.

والظّاهر أنّ قادة الفرس في نهاوند كانوا يقاتلون متساندين، وأنّ خرّزاد ابن هرمز كان أعظمهم؛ لأنّ ابن أعثم الكوفيّ ذكر أنّ الفرس بنهاوند "أمّروا عليهم أربعة من ملوك الأعاجم، منهم: ذو الحاجب خرّزاد بن هرمز، وسنفاد بن حشروا، وخهانيل بن فيروز، وشروميان بن إسفنديار، وأنّهم قد تعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا وتكاتبوا وتواصوا وتواثقوا" على إخراج المسلمين[1].

وإنّ الناظر في المصادر المعتمدة يراها تخالف سيفا الذي يصرّ على تأمير "الفيرزان" على عسكر الفرس، وذلك حتّى يدق عنقه على يد القعقاع[2]؛ كعادة سيف في إهلاك الأمراء الكبار على يدي صاحبه.

وقد استقرأ الكلاعيّ أخبار وقعة نهاوند، ثمّ عقّب قائلا: "حديث وقعة نهاوند والاختلاف فيها بين أهل الأخبار كثير، ولكنّ الذي ذكره أبو الحسن المدائنيّ من حديثها أحسن ما وقفت عليه من الأحاديث مساقا، وأطوله اقتصاصا، فلذلك آثرت الابتداء به، وربما أدرجت في تضاعيفه من حديث غيره ما يحسن إدراجه فيه، ثمّ أذكر بعد انقضائه ما أختار ذكره من الأخبار التي أوردها سواه عن هذه الوقعة إن شاء الله"[3].

وتتّفق الأقوال على أنّ عمر ﷺ اختار النّعمان بن مقرّن المزنيّ ﷺ لقيادة جيش فتح نهاوند[4]، غير أنّ سيفا لا يطيل الاتّفاق مع الرّواة، فيذكر أنّ الخليفة أرسل العهد بالقيادة إلى النّعمان[1]، مع الصّحابيّين: زرّ بن كليب والمقترب

---

(١) المصدر السابق، مج١، ص٢٨٨.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٢٨.

(٣) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٥٥٦.

(٤) الطبري تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥١٨؛ الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٥٥٨.

(١) كان النعمان على قضاء كسكر العراقية وناحيتها. البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٩٦.

التّميميّين[1]، والصّحيح أنّ عمر ﷺ بعث إليه بكتابه مع السّائب بن الأقرع[2]، وولاه قسمة الغنائم[3].

وهنا نرى سيفا ينسب عمل رجل ثقفيّ مضريّ إلى بني تميم، ممّا يؤكّد للمرّة بعد المرّة أنّ سيفا لم يكن متعصّبا على اليمنيّة فقط بقدر ما كان يزيح من أمامه من يزاحم رجال قومه مهما كان نسبه.

وكعادة سيف في إنقاذه جيوش المسلمين برجال من تميم وحمايتها بهم فقد قال: "كتب عمر إلى سلمى بن القين، وحرملة بن مريطة، وزرّ بن كليب، والمقترب الأسود بن ربيعة، وقوّاد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز، أن اشغلوا فارس عن إخوانكم، وحوطوا بذلك أمّتكم وأرضكم، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتّى يأتيكم أمري... ونصلَ سلمى وحرملة وزرّ والمقترب، فكانوا في تخوم إصبهان وفارس، فقطعوا بذلك عن أهل نهاوند أمداد فارس"[4].

وعجيب أن يخفى خبر هؤلاء القادة الأربعة ودورهم الكبير في فتوح العراق وفارس عن سائر المؤرّخين الموثوقين والضعفاء والمتروكين، مع اهتمامهم بأدوار ضعيفة جدّا عمّا ذكره سيف عن أقاربه.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٢٤.

(٢) السائب: هو السائب بن الأقرع بن عوف الثقفي، صحابيّ صغير، مسح النبي ﷺ على رأسه وهو غلام ودعا له، وشهد فتح نهاوند، وولاه الفاروق قسمة غنائم نهاوند، ثم استعمله على المدائن، وعرف بشدّة عقله. ابن حجر: الإصابة، جـ٣، ص١٤، ١٥.

(٣) أبو عبيد: الأموال، تحقيق/ خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٢١؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٤٨؛ ابن زنجويه: الأموال، تحقيق/ شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، جـ٢، ص٥٨٠، ٥٨١؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٩٦؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ١٣٥.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٢٥.

وقد حبك سيفٌ قصّته جيّدا، فجعل الحماة التّميميّين مع قادة المسلمين في بلاد فارس، ثمّ طار بالتّميميّين فأوقفهم على تخوم العدوّ وحدوده ليمنعوا وصول الأمداد إلى الفرس، وأظهر عجز بقيّة القادة العرب عن صنيع التّميميّين.

وتحرّك المسلمون صوب نهاوند فوجدوا الفرس قد خندقوا على أنفسهم وألقوا أمامهم حسك الحديد(١)، فأقام كلّ فريق بمكانه، ولم يستطع المسلمون النّيل من عدوّهم، وتحرّج موقفهم(٢)، وهنا يسرع سيفٌ لينقذ المسلمين بالقعقاع؛ فيزعم أنّ النّعمان اتّفق مع قادة أركان جيشه بإشارة من طليحة بن خويلد الأسديّ على الاشتباك مع الفرس عند خندقهم ثمّ إظهار الهزيمة والتّراجع شيئا فشيئا حتّى يطمع الفرس في المسلمين ويقوموا بملاحقتهم، ونجحت الخطّة التي رسمها المسلمون، أو التي تخيّلها سيفٌ، حيث قام القعقاع بالاشتباك مع الفرس على خندقهم، ولم يفتأ ينكص برجاله شيئا فشيئا حتّى أخرجهم من خندقهم وأوقعهم بين كمائن المسلمين، فكانت هزيمتهم(٣).

ومع اهتمام الرّوايات التّاريخيّة والحديثيّة بذكر أخبار نهاوند وكبار قادة المسلمين وأبطالهم فيها كالزّبير بن العوّام القرشيّ(٤)، وجرير بن عبد الله البجليّ، والمغيرة بن شعبة الثّقفيّ، وقيس بن هبيرة المكشوح المراديّ، وطليحة بن خويلد الأسديّ(١)، والأشعث بن قيس الكنديّ، وعمرو بن معدي كرب الزّبيديّ(٢)، فلا

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٧٩.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٣٥.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٢٦، ٥٢٧.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنّف، جـ٦، ص٥٥٩، ح٣٣٧٩٣؛ الحاكم: المستدرك على الصحيحين، جـ٣، ص٣٣٢.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥١٨. من رواية ابن إسحاق.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنّف، جـ٦، ص٥٥٩؛ الحاكم: المستدرك، جـ٣، ص٣٣٢.

يوجد ذكر للقعقاع التّميميّ إلا من طريق سيف، ممّا يدلّ على إقحامه له في تلك الموقعة الشّهيرة.

والصّحيح أنّ الفاروق ﷺ أوصى النّعمان بضرورة مشاورة عمرو بن معدي كربَ، وطليحة بن خويلد في أمر الحرب، وأن يجعلهما من خوّاصّه[1]، فلمّا أقام الفرس في مكانهم، ولم يخرجوا لقتال المسلمين، استشار النّعمان عمرا وطليحة في الأمر، فأشار عليه عمروٌ بأن يشيع وفاة أمير المؤمنين، ثمّ يرتحل بجميع العسكر، وسيخرج الفرس وراءهم ويتعقّبونهم، فأخذ النّعمان بهذا الرّأي، وارتحل بالمسلمين فتعقّبهم الفرس، فلمّا قاربوهم وقفوا لهم، فدارت بينهم معركة عنيفة[2]، انتهت بانتصار المسلمين بعد يومين[3].

ولمّا كانت بطولات عمرو بن معدي كرب الزّبيديّ اليمنيّ ومواقفه السّديدة غصّة في حلق سيف التّميميّ، فقد زعم أنّ النّعمان استشاره في الأمر فقال له: "تاهدهم وكاثرهم، ولا تخفهم، فردّوا عليه جميعا رأيه، وقالوا: إنّما تناطح بنا الجدران، والجدران لهم أعوان علينا"[4].

وقد حرّف سيفٌ الخبر من إشارة عمرو الزّبيديّ بإشاعة وفاة أمير المؤمنين إلى الخطّة العبقريّة التي نفذها القعقاع[1].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٦، ص٢٧١؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٣٥. وفي رواية منقطعة لابن أبي شيبة أنّه أوصاه ألا يولهما شيئا من الإمارة. المصنف، جـ٦، ص٥٦١.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٣٥، ١٣٦.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٤٨؛ ابن حبان: الصحيح، جـ١١، ص٦٨، ٦٩.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٢٦.

(١) المصدر السابق، جـ٢، ص٥٢٦، ٥٢٧.

(٦) تكذيب الطّبري لرواية سيف في فتح همذان:

ادّعى سيفٌ فتح همذان[1] على يد نعيم بن مقرّن المزنـيّ ﷺ والقعقاع بن عمرو التّميميّ سنة ١٨هـ/٦٣٩م[2]، وخالفه أهل العلم بالأخبار؛ حيث أرّخ أبو معشر السّنديّ (ت: ١٧٠هـ/٧٨٧م) والواقديّ وغيرهما فتح همذان بسنة ٢٢هـ/٦٤٣م، وهو التّاريخ الذي اختاره الطّبريّ، لكن من عجيب صنيع الطّبريّ أنّه يصرّح بتكذيبه لخبر سيف في فتح همذان، ويقدّم عليه غيره من أهل الأخبار، ثمّ لا يذكر إلا ما افتراه سيف[3].

والثّابت عند خليفة بن خياط أنّ حذيفة بن اليمان ﷺ هو الذي غزا همذان فافتتحها عنوة لأوّل مرّة سنة ٢٢هـ/٦٤٣م[4]، وذكر بعض الرّواة أنّها فتحت على يدّ المغيرة بن شعبة الثّقفيّ ﷺ سنة ٢٤هـ/٦٤٥م، أو على يد جرير بن عبد الله البجليّ ﷺ بأمر المغيرة[5]، وقد مرّض خليفة بن خياط هذين القولين[6]، وليس للقعقاع ذكر في همذان من غير طريق سيف المتّهم به.

وبهذا يتبيّن لنا مقدار التّحريف والتّزوير الذي شوّه به سيفٌ أخبار الفتوح التي شارك فيها بنو تميم خاصّة، والتّاريخ الإسلاميّ عامّة.

---

(١) همذان: مدينة كبيرة من إقليم الجبال، وهي الآن مدينة إيرانية في وسط غرب البلاد، تبعد عن العاصمة طهران بنحو ٣٠٠ كم. ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص٤١٠؛ عبد الحكيم العفيفي: موسوعة ألف مدينة إسلامية، ص٥١٣.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٣٥.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٣٥.

(٤) تاريخ خليفة، ص١٥١.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٠٢.

(٦) تاريخ خليفة، ص١٥١.

المبحث الخامس

حقيقة مشاركة بني تميم في فتوح الشّام

تندر المصادر التي تتحدّث عن دور بني تميم ومشاركتهم في فتوح الشّام من غير طريق الرّاوية الكذوب سيف التّميميّ، ولذا يصعب على الباحث التّأكّد من حقيقة دورهم فيها، كما يُعذرُ من ينفي مشاركتهم من أصلها؛ وذلك لاعتياد سيف على الكذب والتّلفيق في مرويّاته.

(١) حقيقة مشاركة التّميميّين في فتوح الشام:

يجزم مرتضى العسكريّ بعدم شهود قبائل ربيعة وتميم وأسد لشيء من فتوح الشّام، وذلك لقول الأزديّ عن وقعة اليرموك[١]: "ولم يحضرها يومئذ أسدٌ، ولا تميمٌ، ولا ربيعة، ولم تكن دارهم هنالك، إنّما كانت دارهم عراقيّة، فقاتلوا فارس بالعراق"[٢].

وروى ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م) عن قدماء أهل الشّام وغيرهم أنّ قبائل اليمن هي التي شهدت اليرموك، كالأزد، وحمير، وهمدان، ومذحج، وخولان، وخثعم، وقضاعة، ولخم، وجذام، وكندة، وحضرموت، ومعهم بعض كنانة، "وليس فيها أسد، ولا تميم، ولا ربيعة، ولم يكن دارهم، إنّما كانت دارهم عراقيّة، فقاتلوا أهل فارس بالعراق"[٣].

---

(١) اليرموك: نهر من أنهار الشام، ينبع من مرتفعات حوران، وطوله ٥٧ كيلو متر، منها ١٧ في فلسطين، والباقي في الحدّ الفاصل بين سورية والأردنّ، وهو من أكبر روافد نهر الأردنّ، ويلتقي مع الأردنّ في جنوبي بحيرة طبرية. محمد محمد حسن شُرّاب: المعالم الأثيرة في السنّة والسيرة، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٢٩٧.

(٢) فتوح الشام، ص١١٥.

(٣) تاريخ دمشق، جـ٢، ص١٤٨.

وقد أكّد الكلاعيّ على كلام الأزديّ وابن عساكر بما نقله من شهود قبائل اليمن لفتوح الشّام، وغياب تميم وربيعة وأسد عنها[1].

لكنّ كلام هؤلاء المؤرّخين لا يمنع بعض التّميميّين من شهود فتوح الشّام، وذلك لأنّ الأزديّ لم ينف الوجود التّميميّ في الفتوح الشّاميّة عند حديثه عن توجيه أبي بكر ﷺ الجيوش لفتح الشّام، وذلك قوله: "فأمّا ربيعة وتميم وأسد فإنّهم كانوا بالعراق، وكانت دارهم عراقيّة، وقلّ من شهدها منهم، وكان عظمهم وجلّهم أهل اليمن"[2].

فالأزديّ هاهنا لا يمانع من شهود بعض الرّبعيّين والتّميميّين والأسديّين من شهود فتوح الشّام، وهذا مؤكّد من طرق أخرى؛ لأنّ الصّدّيق قد ألزم مذعور ابن عديّ العجليّ[3] أن يكون مع خالد بن الوليد ﷺ بالعراق، وأن يشخص معه عند انتقاله عنها[4].

ولا مانع من شهود القعقاع التّميميّ وغيره فتوح الشّام وموقعة اليرموك؛ لأنّ المؤرّخين لا يختلفون في خروج خالد ﷺ لنجدة الشّاميّين بجزء[5] من الجيش

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص٢٨١.

(٢) فتوح الشام، ص١٢.

(٣) مذعور: هو مذعور بن عديّ العجليّ الربعيّ، من أهل العراق، يقال له صحبة، شهد وقعة اليرموك وفتح دمشق مع خالد بن الوليد، وله آثار في فتوح العراق، وحروب الفرس. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ٥، ص١٢٨.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٣٨؛ الطبري من رواية أبي مخنف. تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٠٨.

(٥) تحدد رواية الإمام محمد بن الحسن الشيباني مقدار الجيش الذي تحرّك به خالد إلى الشام بثلاثة آلاف. السرخسي: شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، جـ١، ص٣٦.

العراقيّ[١]، كما يذكر ابن أعثم الكوفيّ أنّ الرّواة مختلفين في تعيين قاتل القائد الرّوميّ "ماهان" بين النّعمان بن جلهمة الأزديّ، وعاصم بن جوال اليربوعيّ "التّميميّ"[٢].

ويضيف ابن أعثم بأنّ الخيّالة كانوا في اليرموك ثلاثة صفوف، عليهم ثلاثة من فرسان المسلمين، هم: غيّاث بن حرملة العامريّ، ونبلة بن سيف اليربوعيّ، والقعقاع بن عمرو التّميميّ[٣].

وعلى الرّغم من الطّابع القصصيّ الذي كتبت به الفتوح "الأعثميّة"[٤]، فإنّه لا يمكن إهمال أخباره عن التّميميّين واطّراحها تماما؛ لأنّه متعصبٌ لقومه الأزد، حريص على إظهار مفاخر اليمنيّين على حساب غيرهم من القبائل العربيّة، وعلى حساب الحقيقة التّاريخيّة.

والعجيب أنّ النّصّ السّابق عن خيّالة اليرموك موجود بعينه في كتاب "فتوح الشّام" المنسوب للواقديّ![٥]، وهذا يثير تساؤلا محيّرا، وهو أيّ المصنّفَين يعتمد على الآخر؟ فإن كان ابن أعثم يعتمد على فتوح الشّام فهذا يدلّ على قدمه وصحّة نسبته إلى الواقديّ، وإن كان فتوح الشّام يعتمد على الفتوح الأعثميّة فلا شكّ في وضع فتوح الشّام على لسان الواقديّ في وقت متأخّر.

---

(١) الأزدي: فتوح الشام، ص٥٧، ٥٨؛ الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، جـ٢، ص١٩٣.

(٢) الفتوح، مج١، جـ١، ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٣) المصدر السابق، مج١، جـ١، ص١٩٨.

(٤) محمد جبر أبو سعدة: ابن أعثم الكوفي ومنهجه التاريخي في كتاب الفتوح، ص٢٥٢-٤٩٣.

(٥) فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، جـ١، ص١٩٢.

وقيلي في هذا الموضوع أنّ كتاب "فتوح الشّام" المنسوب للواقديّ ينقل عن فتوح ابن أعثم، وليس العكس، والكتاب المنسوب للواقديّ لا يمتّ لكتابه الأصليّ بصلة؛ وذلك لأنّ الواقديّ يروى كتابه "فتوح الشّام" بإسناد كلّ رواية إلى قائليها على عادته في مصنّفاته، وقد نقل عنه ابن عساكر غير ما مرّة، فقال في ترجمة أسيد بن حضير الأوسيّ الأنصاريّ ﷺ: "شهد مع عمر بن الخطّاب الجابية، فيما ذكره محمد بن عمر الواقديّ في فتوح الشّام، وذكر أنّ عمر جعله على ربع الأنصار، وشهد معه فتح بيت المقدس، ثمّ خرج معه خرجته الثّانية التي رجع فيها من سرغ أميرا على ربع الأنصار"(١).

ومن يراجع الكتاب المنسوب للواقديّ عن فتوح الشّام لا يجد فيه ذكرا لأسيد بن حضير ﷺ من قريب ولا من بعيد.

ويقول ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن بُسْر ﷺ: "أبو صفوان، ويقال أبو بُسْر المازنيّ، له صحبة من رسول الله ﷺ ورواية عنه، وقدم دمشق أو ساحلها، مجتازا من حمص إلى عكّا، وركب منها البحر لغزو قبرس مع معاوية، فيما ذكره الواقديّ في فتوح الشّام الذي صنفه"(٢).

وقال ابن عساكر في موضع ثالث: "قرأت في كتاب فتوح الشّام لمحمّد بن عمر الواقديّ: حدثني سعيد بن راشد، وإبراهيم بن محمّد، عن عبد الملك بن مسلم، عن عثمان بن عطاء الكلاعيّ، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطّاب بالجابية يخطب النّاس فقال: أيّها النّاس، أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى، ويفنى ما سواه، والذي بطاعته ينفع أولياءه، وبمعصيته يضرّ أعداءه، فذكر الخطبة"(٣).

---

(١) تاريخ دمشق، جـ٩، ص٧٣.

(٢) المصدر السابق، جـ٢٧، ص١٣٩، ١٤٠.

(٣) المصدر السابق، جـ٤٠، ص٤٥٥.

ولا يوجد لأحد من رجال هذا الإسناد ذكر في فتوح الشّام المطبوع باسم الواقديّ، ولا يوجد فيه شيءٌ من متنه أيضا، ولهذا فإنّ النّصّ الذي أورده ابن أعثم عن القعقاع في اليرموك ليس من طريق الواقديّ، ولا من طريق سيف؛ لأنّه لا يروي عنه، وليس في أسانيده التي حفظتها نسخة "خدا بخش"[1].

(٢) حقيقة اسم الواقوصة الشاميّة:

لقد توسّع مرتضى العسكريّ في نسف بعض الأخبار والأماكن المتعلّقة بفتح الشّام بناء على انفراد سيف بها، واختراعه لها، فقد أنكر اسم "الواقوصة"[2] قائلا: "لم أجد لها ذكرا إلا ما قاله البلاذريّ: "إنّ الرّوم قد جمعوا جمعا بالياقوصة بعد أجنادين[3]، فلقيهم المسلمون هناك فكشفوهم"[4]، وعلّق بقوله: "من الجائز أنّ سيفا قلب الياقوصة إلى الواقوصة لما في مادة "وقص" من دلالة على كسر العنق، وهذا ما يناسب خيال سيف في الحروب"[5].

ولو أنكر مرتضى العسكريّ دور القعقاع بن عمرو التّميميّ في يوم الواقوصة وأشعاره التي قالها في ذلك اليوم[6]، لاحتمل كلامه الأخذ والرّدّ، ولكنّ إنكاره لفظ "الواقوصة" غلط منه، فقد ذكرها الإمام محمد بن الحسن الشّيبانيّ (ت:

(١) أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص٢٣.

(٢) الواقوصة: واد بالشام في أرض حوران، ويقع سهل الواقوصة في استدارة النهر قبل التقائه بالأردنّ، والواقوصة قرية من أعمال درعا السورية، تقع غربها بمسافة ٦٣ كيلو متر. ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص٣٥٤؛ محمد محمد حسن شرّاب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص٢٩٧.

(٣) أجنادين: بفتح الهمزة وكسرها، وفتح الدّال وكسرها، بلفظ التثنية والجمع، بلد بفلسطين بين الرملة وبيت جبرين. ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص١٠٣.

(٤) فتوح البلدان، ص١١٧.

(٥) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص١٢١.

(٦) ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص٣٥٤.

١٨٩هـ/٨٠٤م) في فتوح الشّام أيّام الصّدّيق[١]، وذكر ابن النّديم (ت: ٣٨٣هـ/٩٩٣م) كتابا للمدائنيّ بعنوان: "خبر الواقوصة"، في أيّام أبي بكر الصّدّيق[٢]، كما ذكرها أبو حذيفة إسحاق بن بشر البخاريّ (ت: ٢٠٦هـ/٨٢١م) في فتوحه أيضا[٣].

(٣) تحقيق تأريخ موقعة اليرموك:

جزم مرتضى العسكريّ بأنّ سيفا تفرّد بتأريخ اليرموك سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م، في خلافة أبي بكر ﷺ[٤]، وأنّه هو الذي حرّف تاريخها ليجعلها قبل فتح دمشق[٥]، وذلك حتّى يمكّن قومه التّميميّين وقعقاعهم من شهود فتوح الشّام الكبرى مع فتوح العراق.

والحقّ أنّ القول بانفراد سيف بن عمر بتأريخ وقعة اليرموك في خلافة أبي بكر الصّدّيق ﷺ ليس استنتاجا لمرتضى العسكريّ، وإنّما هو للحافظ ابن عساكر، فقد ذكر أنّ تأريخ اليرموك بسنة ١٥هـ/٦٣٦م في خلافة عمر ﷺ هو المحفوظ، وأنّ سيف بن عمر التّميميّ هو الذي انفرد بتأريخها قبل فتح دمشق في أوّل خلافة أبي بكر الصّدّيق سنة ١٣هـ/٦٣٤م، وجزم بأنّه "لم يتابع على ذلك"[٦]، وهذا خطأ من ابن عساكر؛ لأنّ سيفا لم ينفرد بتقديم تاريخها، وها هي أقوال العلماء والمؤرّخين في ذلك:

---

(١) السرخسي: شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، جـ١، ص٣٩.

(٢) الفهرست، ص١٥٠.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص٣٥٥.

(٤) خمسون ومائة صحابيّ مختلق، جـ١، ص١٢١.

(٥) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، جـ١، ص٢١٠، ٢١١.

(٦) تاريخ دمشق، جـ٢، ص١٤٢.

أولا: ثبت عن قيس بن أبي حازم[1] أنّه قال: "أمّنا خالد بن الوليد يوم اليرموك، في ثوب واحدٍ، قد خالف بين طرَفيه، وخلفه أصحاب محمّد ﷺ"[2].

وهذا الأثر الصّحيح عن قيس يدلّ على أنّ خالد بن الوليد ﷺ هو الأمير الذي يصلّى الجند بصلاته، وإلا لصلّى الصّحابة خاصّة خلف أبي عبيدة ﷺ، ولا خلاف بين أهل العلم بالأخبار في إمارة أبي عبيدة العامّة على الشّام في سنة ١٥هـ/٦٣٦م.

ثانيا: صرّح عروة بن الزّبير بن العوّام (ت: ٩٣هـ/٧١٢م) أنّ أخاه عبد الله بن الزّبير ﷺ شهد موقعة اليرموك وهو ابن عشر سنين[3]، وعقّب ابن حجر على هذا الأثر فقال: "ووقعة اليرموك كانت أوّل خلافة عمر بين المسلمين والرّوم بالشّام سنة ثلاثة عشر، وقيل: سنة خمسة عشر، ويؤيّد الأوّل قوله في الحديث الذي بعده إن سنّ عبد الله بن الزّبير كان عشر سنين"[4].

---

(١) قيس: هو قيس بن أبي حازم البجليّ الأحمسي، من قدماء التابعين، ومن أكثرهم رواية عن الصحابة، شهد فتوح العراق مع خالد بن الوليد، وشهد معه اليرموك بالشام، وعاش حتّى جاوز المائة، وتوفي سنة ٩٨هـ/٧١٦. ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٨، ص١٨٨؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٥، ص٣٩٩- ٤٠١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٥، ص٤٠؛ الطحاوي: شرح معاني الآثار، تحقيق/ محمد زهري النجار، ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، جـ١، ص٣٨٣، ح٢٢٥٩. وصححه ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٥، ص٤٠٠.

(٣) البخاري: الصحيح، (كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل)، جـ٤، ص١٤٦١، ح٣٧٥٦؛ أبو إسحاق الفزاري: السير، تحقيق/ فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص٢١٧.

(٤) فتح الباري، جـ٧، ص٢٩٩، ٣٠٠.

وتحديد عروة لسنّ أخيه عبد الله بعشر سنين، "بحسَب إلغاء الكسر، وإلا فسنُّه يومئذٍ كان على الصّحيح مقدار اثنتي عشرة سنة"[1]، ولا داعي لتكلّف الحافظ الذّهبيّ بتحويل الوقعة إلى اليمامة اعتمادا على لفظ السّنّ المذكور[2]، فقد ثبت عن عبد الله بن الزّبير أنّه كان مع أبيه يوم اليرموك، فلمّا انهزم المشركون حمل فجعل يجهز على جرحاهم[3].

ثالثا: صحّ عن ابن شهاب الزّهريّ (ت: ١٢٤هـ/٧٤٢م) أنّه قال: "لمّا استُخلف عمرُ نزع خالد بن الوليد، فأمّر أبا عبيدة بن الجرّاح، وبعث إليه بعهده وهو بالشّام يوم اليرموك، فمكث العهدُ مع أبي عبيدة شهرين لا يُعَرِّفُه إلى خالدٍ حياءً منه، فقال خالدٌ: "أخرجْ أيّها الرّجل عهدك نسمع لك ونطيع"[4].

رابعا: ذهب موسى بن عقبة مولى آل الزبير، (ت: ١٤١هـ/٧٥٨م)، وهو "ثقة فقيه إمام في المغازي"[5] إلى أنّ قيادة المسلمين في اليرموك كانت لخالد ﷺ[6].

خامسا: ذكر الإخباري العلامة الحافظ الصّادق عليّ بن محمد المدائنيّ أنّ خبر عزل الفاروق خالدا عن القيادة العامة بالشّام أتى المسلمين وهم يقاتلون الرّوم باليرموك في شهر رجب[7].

---

(١) ابن حجر: فتح الباري، جـ٧، ص٣٠٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، جـ١، ص٦٣.

(٣) أبو إسحاق الفزاري: السير، ص٢١٧؛ البيهقي: السنن الكبرى، جـ٩، ص١٥٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ٢٨، ص١٤٥.

(٤) عبد الرزاق: المصنف، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ٥، ص٤٨٣، ح٩٧٧٨، والإسناد صحيح إلى الزهري.

(٥) ابن حجر: تقريب التهذيب، جـ٢، ص١٥١.

(٦) أبو إسحاق الفزاري: السير، ص١٤٩.

(٧) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٥٥.

سادسا: ثبت عن إمام الجرح والتّعديل يحيى بن معين (ت: ٢٣٣هـ/٨٤٨م) أنّه قال: "قُتل الفضل بن عبّاس يوم اليرموك في عهد أبي بكر الصّدّيق ﷺ"[١].

ولهذه الأدلة أقول بأنّ وقعة اليرموك كانت بقيادة سيف الله خالد بن الوليد ﷺ في نهاية عهد الصّدّيق وأوّل خلافة الفاروق، ولا مانع من مشاركة قلّة من بني تميم فيها.

ولقد اختلف المؤرّخون كثيرا في ترتيب وقائع فتوح الشّام وتسلسلها مع اتّفاقهم على حدوثها ونتائجها، حتّى دهش الطّبريّ من ذلك الاختلاف واستنكره، وعلّله بقرب الوقائع بعضها من بعض[٢].

وخلاصة الأمر أنّ الحافظ ابن عساكر لم يُصب في قوله بانفراد سيف التّميميّ بتأريخ اليرموك في خلافة أبي بكر ﷺ، وما كان لمرتضى العسكريّ أن يتابع ابن عساكر دون تحقيق دقيق، وهو يقوم بمشروعه الضّخم في نسف أباطيل التّاريخ الإسلاميّ.

(٤) تعصّب سيف للقعقاع في اليرموك:

وإذا كنت لا أمانع من شهود بعض التّميميّين في موقعة اليرموك وفتوح الشّام فإنّي لا أصدّق سيفا في جعله القعقاع أوّل من أنشب القتال في اليرموك، وذلك أنّه جعله على إحدى مجنّبتيّ القلب، وجعل عكرمة بن أبي جهل ﷺ على المجنّبة الأخرى، وزعم أنّ خالدا أمرهما ببدء القتال معا، فأنشباه، والتحم النّاس في القتال بعدهما[٣].

---

(١) تاريخ ابن معين، رواية الدوري، تحقيق/ أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، جـ٣، ص٢٧؛ الحاكم: المستدرك على الصحيحين، جـ٣، ص٣٠٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٥٩.

(٣) المصدر السابق، جـ٢، ص٣٣٧.

ولقد اعتدنا من سيف مزاحمته لأبطال الإسلام وكبار القادة بالقعقاع في مواطن كثيرة، وتبيّن لنا كذبه في غالبيّة المفاخر والفعال العظام الأوائل التي ألصقها بقومه عامّة وبالقعقاع خاصّة. وقد ذكر الإمام محمد بن الحسن الشّيبانيّ أنّ عكرمة بن أبي جهل ﷺ كان أوّل من أنشب القتال يوم اليرموك[1]، ولو قام القعقاع أو رجل من التّميميّين أو الكوفيّين بهذا السّبق أو المشاركة فيه لما خفي أمره على الإمام محمد، وهو الكوفيّ الخبير بمآثر الكوفيّين وأخبارهم.

ولقد كذّب أستاذنا الدّكتور محمد جبر أبو سعدة رواية ابن أعثم الكوفيّ التي تجعل أوليّة إنشاب حرب اليرموك على يد غلام أزديّ[2]، بحجّة تعصّب ابن أعثم للأزد واليمنيّة[3]، لكن الرّدّ على تعصّب ابن أعثم برواية سيف التّميميّ لأوّليّة القعقاع ليس قويّا؛ لأنّ تعصّب سيف لبني تميم واختلاقه البطولات الأسطوريّة لهم أكثر من أكاذيب ابن أعثم للأزد.

وتكاد الحقيقة التّاريخيّة أن تضيع في مثل هذا الموطن بسبب العصبيّة القبليّة والنّزعات المذهبيّة؛ لأن ابن أعثم مؤرّخ شيعيّ، واضح المذهب، يكشف عن رأيه بقوّة، ويعلن عنه في كتابه إعلانا لا خفاء بعده، ثمّ إنّه انتهز كتابه الفتوح ليتغنّى بأمجاد عشيرته من الأزد خاصّة، واليمن عامّة[4]، كما أنّ سيفا في غاية التّعصّب لبني تميم، ومتّهم بالكذب والوضع والزّندقة.

والصّواب طرح كلام سيف التّميميّ وابن أعثم الأزديّ معا، وقبول رواية الإمام محمد بن الحسن في أسبقيّة عكرمة بن أبي جهل القرشيّ.

---

(١) السرخسي: شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، جـ١، ص٣٨، ٣٩.

(٢) الفتوح، مج١، ص٢٠٠.

(٣) ابن أعثم الكوفي ومنهجه التاريخي في كتاب الفتوح، ص١٠٥.

(٤) المرجع السابق، ص٨٨.

(٥) تحريف سيف لخبر تسلّق سور دمشق:

لم يكتف سيفٌ بذكره مشاركة القعقاع وقومه التّميميّين في فتح دمشق، بل زعم أنّ القعقاع كان أوّل من تسلّق سور دمشق على الحبال التي أعدّها خالد ابن الوليد ﷺ لتلك المهمّة[١].

وقد اعتاد سيف على مزاحمة خالد ﷺ وأعماله بالقعقاع وبطولاته الأسطوريّة، فتخيّل أنّ خالدا قام بفتل كميّة من الحبال على هيئة السلاليم، واحتفظ بها إلى أن واتته الفرصة لتسلّق السّور عندما اجتمع الدّماشقة للاحتفال بمولود لبطريق المدينة وتركوا أماكنهم على الأسوار، وكان خالدٌ "لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه من أمورهم شيء"، فلمّا أخبرته عيونه بغفلة عدوّه نهد إلى السّور في جماعة من الأبطال، فسبقهم القعقاع في تسلّق السّور، وقام بدور كبير في ربط الحبال ومعاونة خالد ورجاله في تسلّق السّور[٢].

والصّحيح أنّ خالد بن الوليد كان يحاصر الباب الشّرقيّ لمدينة دمشق، وأنّه نزل على دير هناك، فسمّي لذلك بدير خالد[٣]، وقد استمرّ في حصار المدينة حتّى جاءه نفرٌ من أهلها في إحدى الليالي، وأعلموه أنّها ليلة عيد، وأنّ الحرّاس مشغولون، وأشاروا عليه أن يلتمس سلّما للصّعود عليه، فأتاه أهل الدّير بسلّمين، فرقى خالدٌ بجماعة من جنده على السّلّمين، وفتحوا الباب الذي لم يكن عليه إلا رجلٌ أو رجلان[٤].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٥٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ٢، ص١٣٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٥٨.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٢٣.

(٤) المصدر السابق، ص١٢٤.

(٦) ظهور كذب سيف في فتوح الشام بعد القادسيّة:

لقد أرّخ سيفٌ فتح دمشق بسنة ١٤هـ/٦٣٥م، كما جعل القادسيّة في نفس السّنة أيضا، وذكر أنّ عمر ﷺ كتب إلى أبي عبيدة بن الجرّاح ﷺ عقب فتح دمشق يأمره بصرف جند العراق إلى العراق، فأسرع القعقاع بن عمرو التّميميّ بمقدّمة الجيش العراقيّ من الشّام[١]، وأدرك المسلمين في صبيحة اليوم الثّاني للقادسيّة المعروف عنده بأغواث[٢]، ويصرّ سيفٌ على أنّ أهل العراق الذين أنجدوا الشّاميّين وشهدوا اليرموك وفتح دمشق مع خالد بن الوليد ﷺ قد عادوا جميعا إلى العراق، وشهدوا القادسيّة[٣]، وأنّه لم يبق إلا خالد ﷺ، حيث أمر عمر ﷺ بضمّه إلى جيش أبي عبيدة ﷺ[٤].

لكن سيفا يخالف نفسه فيزعم أنّ الصّحابيّ زياد بن حنظلة التّميميّ العمْري قد شهد فتح حمص مع عشيرته، وقتل حائل بن قيصر في يوم الزّلازل[٥]، كما روى افتخار زياد بن حنظلة بقتل عشيرته للقائد ميناس الرّومي في قِنّسْرين[٦]، وتمكّنهم من هزيمة القائد أرطبون وطرده إلى بيت المقدس حسيرا عشيّة أجنادين[٧]، ويؤرّخ سيف هذه الفتوح بسنة ١٥هـ/٦٣٦م[٨].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٥٨.

(٢) المصدر السابق، جـ٢، ص٤١٣.

(٣) المصدر السابق، جـ٢، ص٤٣٥، ٤٨٣.

(٤) المصدر السابق، جـ٢، ص٣٥٦.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ١٩، ص١٤٣.

(٦) قنّسرين: كورة بالشام منها حلب، وبعض البلدانيين يدخل قنّسرين في العواصم. ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص٤٠٤.

(٧) ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ١٩، ص١٤٤؛ ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص١٠٤.

(٨) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٤٤، ٤٤٥.

ويزعم سيفٌ أنّ زياد بن حنظلة التّميميّ قد شهد فتح الرُّها[1]، سنة ١٦هـ/٦٣٧م[2]، "وكان أوّل من أنبح كلابها، وأنفر دجاجها"[3].

ولا أدري لماذا يخلّف سيفٌ زياد بن حنظلة التّميميّ بالشّام ولا يرحّله مع قومه الذين غادروها بأمر عمر ﷺ، وقد يردّ سيفٌ بأنّه الخبير بتاريخ قومه، وأنّ زيادا لم يكن من الجيش العراقيّ، وإنّما خرج من المدينة مع جيوش فتح الشّام في عهد الصّدّيق، لكنّنا نردّ عليه من كلامه أيضا؛ لأنّه جعل زياد بن حنظلة أميرا على الكوفة العراقيّة قبل ولاية عمّار بن ياسر ﷺ عليها[4].

وإذا ساغت جهالة فارسٍ أو جنديّ في جيش فلا يستساغ اختفاء تاريخ إمارة أمير لمدينة الكوفة العراقيّة الشّهيرة عن سائر رواة التّاريخ الإسلاميّ إلا عن سيف التّميميّ، ولهذا كلّه يترجّح اختلاق سيف لمثل هذه الأخبار المتضاربة، والتي لا نجد لها دلائل تقوّيها وترجّح وقوعها.

ويتكشّف لنا كذب سيف بن عمر التّميميّ بصورة جليّة من حديثه عن شخصية الرّبيع بن مطر بن ثلج التّميميّ، فقد ذكر أنّه وقومه غمروا مرج الرّوم[5] من جثث الرّوم، وطردوا فلولهم حتّى أدخلوهم حمص[6]، في أوّل سنة

---

(١) الرُّها: بالمد والقصر، مدينة بالجزيرة الفراتية بين الموصل والشام. ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص١٠٦.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٤٥.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٤٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ١٩، ص١٤٢.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٣٥٣.

(٥) مرج الروم: هو سهل البقاع اللبناني. محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٤٠.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ١٨، ص٨٠.

١٥هـ/٦٣٦م[١]، وافتخر بشهوده فتح حمص مع قومه أيضا[٢]، مع أنّه شهد القادسيّة ومطاردة الفرس[٣].

ولا أدري ما وسيلة النّقل التي كان يحمل عليها سيفٌ قومه ليتنقّل بهم بين العراق والشّام متى شاء وكيف شاء.

ولا شكّ أنّ هذا من آثار جريمة سيف المزوّر؛ فقد غفل عن مواراة سائر جريمته النّكراء، وظنّ الباحثين سيغفلون عن كشف تزويره، إلا أنّ الجاني غالبا ما يترك أثرا يدلّ على جريمته، ويبقى للحقيقة شعاع يدلّ عليها، مهما حاول المبطلون إخفاء نوره، وطمس معالمه.

(١) هذا تأريخ سيف نفسه. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٤٤٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ١٨، ص٧٩.

(٣) المصدر السابق، جـ١٨، ص٨٠.

المبحث السادس
مختلقات سيف التّميميّة في أخبار الفتنة

تطلق المصادر الإسلاميّة مصطلح "الفتنة" على تلكم الأحداث الأليمة التي قام بها المنحرفون والخوارج على عثمان ﷺ حتّى قتلوه، فكان ذلك بداية فتن سود تتابعت على الأمّة الإسلاميّة كقطع اللّيل المظلم، تمزّقَ فيها شمل المسلمين، ووقع بأسُهم بينهم، ووقفت عمليّات الفتح والجهاد حتّى اجتمع المسلمون على معاوية بن أبي سفيان ﷺ سنة ٤١هـ/٦٦١م، وكان الفاروق عمر وحذيفة بن اليمان ﷺ قد علما من رسول الله ﷺ أنّ علامة ظهور تلك الفتنة هي موت الخليفة عمر ﷺ[١]. ويمكننا أن نقف على مختلقات سيف لصالح قومه التّميميّين من خلال الآتي:

(١) زيادات سيف في قاتل أبي لؤلؤة المجوسيّ:

تتّفق الرّوايات الصّحيحة على أنّ أبا لؤلؤة المجوسيّ لمّا طعن عمر ﷺ طرح عليه رجلٌ من المسلمين بُرْنُسا[٢]، فلمّا ظنّ أنّه مأخوذ نحر نفسه[٣].

---

(١) البخاري: الصحيح، (كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر)، جـ٦، ص٢٥٩٩، ح٦٦٨٣؛ مسلم: الصحيح، (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر)، جـ٤، ص٢٢١٨، ١٤٤.

(٢) البرنس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به. ابن منظور: لسان العرب، جـ٦، ص٢٦.

(٣) البخاري: الصحيح، (كتاب فضائل الصحابة، باب قصّة البيعة والاتفاق على عثمان ﷺ)، جـ٣، ص١٣٥٣، ح٣٤٩٧؛ ابن حبان: الصحيح، جـ١٥، ص٣٥٠، ٣٥١؛ ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٣، ص٣٢٠؛ البلاذري: أنساب الأشراف، جـ١٠، ص٤١٤؛ أبو العرب: المحن، تحقيق/ عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٦٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ٤٤، ص٤١٥.

وفي رواية أنّ رجلا تميميّا يقال له حطّان[1] طرح البرنس على أبي لؤلؤة[2]، وزاد المدائنيّ بأنّ حطّان التّميميّ احتضن المجوسيّ، فلمّا علم أنّه مأخوذ طعن نفسه[3]، لكنّ سيفا لم يكتف بهذا القدر وادّعى أنّ الرجل التّميميّ تبع أبا لؤلؤة فقبض عليه وقتله[4].

وعموما فإنّ سيفا لم يزد كثيرا على رواية مقتل أبي لؤلؤة المجوسيّ، فقد وجد الأمور ممهدّة والرّجل التّميميّ يقبض على المجرم ويعتنقه، فسلّ سيفٌ السّيف وقتل المجوسيّ على يد التّميميّ.

(٢) حقيقة خروج القعقاع لإنجاد الخليفة عثمان ﷺ:

زعم سيفٌ أنّ عثمان ﷺ كتب إلى أهل الأمصار يستمدّهم على محاصريه، "فأتى الكتابُ أهل الأمصار، فخرجوا على الصّعبة والذّلول، فبعث معاوية حبيب بن

(١) حطّان: ذكر ابن حجر أنّه تميميّ يربوعيّ من المهاجرين، ولم يزد على هذا، وأضاف بأنّ الروايات لا تتّفق على طرح حطّان للبرنس على أبي لؤلؤة، ففي رواية أنّ الذي قام بهذا الفعل هو هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص الزهري، وفي رواية أخرى أنّه عبد الله بن عوف. الإصابة في تمييز الصحابة، جــ٢، ص٨٥.

(٢) نقله ابن حجر من ذيل الاستيعاب لابن فتحون من طريق يحيى بن سعيد الأموي، وصححه الحافظ على غيره من الآثار. فتح الباري، جــ٧، ص٦٣.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، جــ٥، ص٢٥.

(٤) سيف بن عمر التميمي: كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعليّ، تحقيق/ قاسم أحمد عبد الرزّاق السّامرّائي، دار أميّة للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هــ/١٩٩٧م، ص٩؛ ابن بكر المالقي: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق/ محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هــ/ ١٩٨٥م، ص٣٩.

مسلمة الفهريّ[1]، وبعث عبد الله بن سعد[2] معاوية بن حُديج السّكونيّ[3]، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو"[4]، لإغاثة عثمان ﷺ فيمن أجابه[5].

(١) حبيب: هو حبيب بن مسلمة الفهري القرشي، رأى رسول الله ﷺ، وخرج مجاهدا إلى الشام في عهد الصدّيق ﷺ، واشتهرت غزواته لأرمينية في عهد الفاروق ﷺ، وولاه الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، ثمّ عزله، وكان مع معاوية ﷺ في صفين وغيرها، ولم يزل يعرف بكثرة غزوه لثغور الشام والجزيرة، حتى قيل له حبيب الرّومي لكثرة دخوله عليهم، وتوفي سنة ٤٢هـ/٦٦٢م، وهو أمير على أرمينية من قبل معاوية. ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٦، ص٤٠، ٤٢؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٥٥؛ ابن أبي خيثمة: التاريخ الكبير، (تاريخ ابن أبي خيثمة)، السفر الثاني، تحقيق/ صلاح فتحي هلال، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٧٧، ١٧٨.

(٢) ابن سعد: عبد الله بن سعد بن أبي السّرح القرشيّ العامريّ، أخو عثمان بن عفان ﷺ من الرضاعة، عاد إلى الإسلام يوم فتح مكة، وحسن إسلامه، واشتهر جهاده، فكان على ميمنة عمرو بن العاص ﷺ في فتوح مصر، وولاه عثمان ﷺ مصر بعد عمرو، ففتح الله على يديه إفريقية، وانتصر على الروم في موقعة ذات الصّواري البحرية، فلمّا استشهد عثمان اعتزل بفلسطين حتّى مات وهو في صلاة الصبح. ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٦، ص١٢٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص٣٣- ٣٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٤، ص٩٤- ٩٦.

(٣) ابن حديج: معاوية بن حديج الكندي السكوني، صحب النبيّ ﷺ وروى عنه، وشهد صفين مع معاوية ﷺ، وقاد له جيشا أخذ به مصر من محمد بن أبي بكر الصديق، وذهبت عينه في غزو النوبة، وغزا المغرب مرارا، ومات بمصر سنة ٥٢هـ/٦٧٢م. ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٧، ص٥٠٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص٣٧- ٤٠؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٦، ص١١٦، ١١٧.

(٤) سيف بن عمر التميمي: كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعليّ، ص١٦٧.

(٥) المصدر السابق، ص٢٥٥.

وهذا كذب صُراح من سيف بن عمر؛ فقد ثبت بالرّوايات الصّحيحة أنّ الصّحابة وأهل المدينة ألحّوا على عثمان ﷺ في الإذن لهم بمقاتلة محاصريه والدّفاع عنه فلم يأذن لهم، وكان منهجه الصّبر والكفّ عن القتال، فقد أرسل إليه الزّبيرُ بن العوّام ﷺ يستأذنه في مقاتلة محاصريه، ويعلمه استعداده لهم برجال من الأنصار من بني عمرو بن عوف، فردّ عثمان ﷺ: "عَزَمْتُ عَلَى مَنْ كَانَتْ لِي عَلَيْهِ طَاعَةٌ أَلا يُقَاتِلَ"[(١)].

وكان عثمان ﷺ قد أمّر عبد الله بن الزّبير ﷺ على الدّار وأمر بطاعته، فلمّا طلب منه أن يقاتل الخارجين وقال له: "لَقَدْ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ قِتَالَهُمْ"، رفض الخليفة وأقسم بالله "لا أُقَاتِلُهُمْ أَبَدًا"[(٢)]، وعاوده ابن الزّبير قائلا: "إنّ معك في الدّار عصبةً مستنصرة، ينصر الله تعالى بأقلّ منها، فأذنْ لي فلأقاتل"، فردّ قائلا: "أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلا أَهْرَاقَ فيَّ دَمَه، أَوْ قال: أهراق فيَّ دمًا"[(٣)].

---

(١) أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة، تحقيق/ وصيّ الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ١، ص٥١١، ح٨٣٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ٣٩، ص٣٧٣. وإسناد الأثر حسن. محمد عبد الله عبد القادر غبّان: فتنة مقتل عثمان، جـ١، ص١٩٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٣، ص٦٧، ورجاله ثقات، وإسناده صحيح. محمد عبد الله غبّان: فتنة مقتل عثمان، جـ١، ص١٩٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٣، ص٦٧؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٧٣. وأورده ابن حجر من طريق أحمد بن منيع، وقال المحقق: "صحيح بهذا الإسناد، رواته جميعهم ثقات". المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق/ عبد القادر عبد الكريم جوندل، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، جـ١٨، ص٩٥، ح٤٣٩١، ووثق البوصيري رجاله أيضا. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، جـ٧، ص١٨٧.

وكان أبو هريرة ﷺ قد تقلّد سيفه ودخل على عثمان ﷺ يطلب الدّفاع عنه[١]، فقال له: "أَيَسُرُّكَ أَنْ تَقْتُلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَإِيَّايَ"؟ فقال: لا، قال: "فَإِنَّكَ وَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَ رَجُلا وَاحِدًا فَكَأَنَّمَا قُتِلَ النَّاسُ جَمِيعًا"، فرجع أبو هريرة ولم يقاتل[٢].

كما تقلّد عبد الله بن عمر ﷺ سيفه يومئذ وعزم على القتال، غير أنّ الخليفة عزم عليه أن يخرج مخافة أن يقتل[٣].

ولم يكن الأنصار أقلّ استعدادا للدّفاع عن أمير المؤمنين عثمان ﷺ من المهاجرين، فبالإضافة إلى بني عمرو بن عوف الذين اتّفقوا مع الزّبير ﷺ، فإننا نرى زيد بن ثابت ﷺ يدخل على الخليفة فيخبره بتجمّع الأنصار على الباب، ويطلب منه الإذن بالقتال، "إن شئت كنّا أنصار الله مرّتين"، ولكنّ الخليفة يأمره بالكفّ عن القتال[٤].

وخاطب عثمان ﷺ النّفر الذين دخلوا الدّار وعزموا على القتال كالحسن ابن عليّ، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزّبير ﷺ، فقال: "أَعْزِمُ

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٧٣. وإسناده صحيح. أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص٤٢٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٣، ص٦٦. وإسناده صحيح. محمد عبد الله غبّان: فتنة مقتل عثمان، جـ١، ص٤٤٧.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٧٣، وإسناده حسن. محمد عبد الله غبّان: فتنة مقتل عثمان، جـ١، ص١٩٧.

(٤) نعيم بن حماد: الفتن، تحقيق/ سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، جـ١، ص١٧٣؛ الخلال: السنّة، تحقيق/ عطية عتيق الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، جـ٢، ص٣٣٣. من مرسل محمد بن سيرين، ولم يدرك الحادثة، ورواه ابن أبي شيبة عن الحسن البصري بسند صحيح. المصنف، جـ٧، ص٥٢٤.

عَلَى مَنْ كَانَ لَنَا عَلَيْهِ سَمْعٌ وَطَاعَةٌ لَمَا كَفَّ يَدَهُ وَسِلاحَهُ، فَإِنَّ أَعْظَمَكُمْ عِنْدِي غَنَاءً الْيَوْمَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ وَسِلاحَهُ"(١).

ولمّا رأى عثمان ﷺ أنّ الصّحابة غيرُ منتهين عنه أرسل إلى عبد الله بن سلام الإسرائيليّ ﷺ فسأله عن رأيه في التّعامل مع محاصريه، فقال: "الْكَفُّ الْكَفُّ، فَإِنَّهُ أَبْلَغُ لَكَ فِي الْحُجَّةِ"(٢)، ثمّ توجّه عثمان ﷺ إلى الصّحابة فقال لهم: "إِنّ رسول اللّه ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا وَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ"(٣)، وكانت عائشة ﵂ قد استدعت عثمان ﷺ للنّبيّ ﷺ وهو في مرض موته، فلمّا دخل عليه جعل يكلّمه ولونُ عثمان يتغيّر، فكانوا يرون أنّه ذلك اليوم(٤).

ويلاحظ من خلال الرّوايات الصّحيحة أنّ عثمان ﷺ كان يشتدّ في رفض الدّفاع عنه كلّما زاد أصحابه في الإلحاح عليه بطلب المقاتلة، بل لمّا رأى إصراراً من بعضهم، وعظهم وذكّرهم بالله، وناشدهم بما له عليهم من طاعة، ممّا يبيّن قوّة عزمه على الكفّ عن القتال، وعدم تردّده في ذلك(٥).

---

(١) ابن شبّة: تاريخ المدينة، تحقيق/ علي محمد دندل، وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، جـ٢، ص٢٤٤، ورجال الأثر ثقات، وإسناده صحيح. محمد عبد الله عبد القادر غبّان: فتنة مقتل عثمان، جـ١، ص١٩٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٣، ص٦٧؛ ابن أبي شيبة: المصنف، جـ٧، ص٥١٥؛ ابن شبّة: تاريخ المدينة، جـ٢، ص٢٣٢، والأثر بإسناد صحيح. ينظر تخريج المطالب العالية لابن حجر، جـ١٨، ص٦٦.

(٣) الترمذي: السنن، وقال: "حسن صحيح غريب"، (كتاب المناقب)، جـ٥، ص٦٣١، ح٣٧١١؛ أحمد بن حنبل: المسند، جـ١، ص٤٦٧، ح٤٠٧، وحسنه محققو المسند.

(٤) ابن حبان: الصحيح، جـ١٥، ص٣٥٦، ٣٥٧، ح٦٩١٨، وقال الأرناؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٥) محمد عبد الله عبد القادر غبّان: فتنة مقتل عثمان، جـ١، ص١٩٢.

ولهذه الرّوايات ونحوها نجزم بكذب سيف بن عمر التّميميّ في ادّعائه استنجاد عثمان ﷺ بأهل الأمصار للدّفاع عنه، وأنّه اختلق هذا الخبر ليجعل القعقاع في مقدّمة المنجدين لأمير المؤمنين.

(٣) حقيقة دور القعقاع في مواجهة دعاة الفتنة بالكوفة:

لما بلغت عثمان ﷺ بوادر الفتنة واضطراب أحوال الكوفة والبصرة ومصر استدعى عمّاله لمناقشة أحوال تلك البلدان والتّأكّد ممّا يبلغه عنهم، وكان والي الكوفة سعيد بن العاص[١] ممّن حضروا مؤتمر العمّال عام ٣٤هـ/٦٥٥م، وقد استغلّ زعماء الفتنة الكوفيّون غياب الوالي سعيد بن العاص، فقاموا بتحريض الأهالي ضده، زاعمين أنّه يريد إنقاص العطاء، ونجح الأشتر[٢] في جمع

(١) سعيد: هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي، كان من فصحاء قريش، وهو الذي كتب القرآن مع زيد بن ثابت، وأقيمت عربيّة القرآن على لسانه؛ لأنّه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ، وكان من أحلم النّاس وأوقرهم، وهو أحد سادات بني أميّة وعبّاد قريش، وقد اعتزل الفتنة كلّها عقب مقتل عثمان إلى أن استقرّ الأمر لمعاوية، ومات سنة ٥٨هـ/٦٧٨م. الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ٤، ص٢٢٤؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٣، ص٩٠.

(٢) الأشتر: هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المذحجي، أدرك الجاهلية، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة، وله مواقف مشهودة في فتوح الشام، وشهد موقعة اليرموك، وأبلى فيها بلاء حسنا، وأصابته ضربة فشترت عينه، فسمّى الأشتر لذلك، وكان ممن ألّب النّاس على عثمان ﷺ، وشهد حصاره، ثمّ دخل في أصحاب عليّ بن أبي طالب ﷺ، وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها، وولاه على مصر، فمات بالقلزم (السويس) في طريقه إليها سنة ٣٨هـ/٦٥٨م. ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٨، ص٣٣٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ٥٦، ص٣٧٣- ٣٩٢؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٦، ص٢١٢، ٢١٣.

المعارضين للوالي[١]، وعسكروا بالجَرَعَة[٢]، في ألف رجل[٣]، ومنعوا الوالي سعيد بن العاص عند عودته من دخول الكوفة وردّوه[٤]، فرجع إلى المدينة، فولّى الأشترُ ورجاله أبا موسى الأشعريّ ﷺ على الصّلاة والثّغر، وحذيفة بن اليمان ﷺ على الفيء[٥].

ويدّعي سيفٌ أنّ يزيد بن قيس الأرحبيّ[٦] جمع المنحرفين عن عثمان ﷺ في غياب الوالي ودخل بهم المسجد ليعلن خلع الخليفة، فانقضّ عليه أمير الحرب القعقاع بن عمرو وقبض عليه، فلم يجرؤ الأرحبيّ عندئذ على إعلان نيّته، وأظهر أنّه يريد استبدال الوالي، وقعد في بيته حتّى قدم مالك الأشتر النّخعيّ فهيّج النّاس على عزل الوالي بحجّة عزمه على إنقاص العطاء فتمّ للأشتر ما أراد[٧].

---

(١) يذكر ابن سعد بدون إسناد أنّ الأشتر النخعيّ ورفاقه من أهل الفتنة رحلوا إلى عثمان وسألوه أن يعزل عنهم سعيد بن العاص فأبى عليهم، فعادوا إلى الكوفة وعملوا على عزله بالقوّة. الطبقات الكبير، جـ٧، ص٣٧.

(٢) الجرعة: موضع بقرب الكوفة على طريق الحيرة فيه رمل وسهولة. ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص١٢٧، ١٢٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٧، ص٣٧.

(٤) أحمد بن حنبل: المسند، جـ٣٨، ص٣٧١، ح٢٣٣٤٨، واستدرك الحاكم هذا الأثر على الشيخين، وصححه، وأقره الذهبي. المستدرك على الصحيحين، جـ٢، ص١٧٠، ح٢٦٦٨. ورشحه محققو المسند للتحسين.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٧، ص٣٨.

(٦) الأرحبي: يزيد بن قيس بن تمام الأرحبيّ الهمدانيّ، كان رئيسا كبيرا في قومه، وشهد مع عليّ ﷺ حروبه، وولاه شرطته، ثمّ ولاه بعد ذلك أصبهان والرّي وهمذان. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٦، ص٥٥١.

(٧) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص٦٤١.

وقد تحدّث المؤرّخون عن يوم الجرعة وبداية الفتنة الفعليّة للكوفيّين من غير رواية سيف فلم يذكروا حرفا واحدا عن القعقاع التّميميّ ودوره في مواجهتهم(١)، ولا يفهم من المصادر إلا أنّ سعيد بن العاص الأمويّ كان على صلاة الكوفة وحربها، وكان يغزو بالكوفيّين(٢).

وهذا يدلّ على إقحام سيف للقعقاع التّميميّ في تلك الأحداث، ليجعل لقومه موقفا يفخرون به على النّاس.

(٤) اختلاق سيف لخبر سفارة القعقاع إلى عائشة وطلحة والزّبير:

يمهّد سيفٌ لهذه السّفارة والثّقة الزّائدة من أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ بالقعقاع بن عمرو التّميميّ فيجعله أوّل المستجيبين لعليّ ﷺ من أهل الكوفة، وأوّل المحرّضين لهم على اتّباعه(٣).

ولم يكن الأمر كما زعم سيف؛ لأنّ عليّا ﷺ أرسل لأهل الكوفة في بداية الأمر محمّد بن أبي بكر الصّدّيق ومحمّد بن جعفر بن أبي طالب، لاستنفارهم للنّهوض معه ومناصرته، ولكنّهما أخفقا في مهمّتهما(٤)، لأنّ أبا موسى الأشعريّ -والي الكوفة- كان معارضا لانخراط النّاس في تلك الفتنة(٥)، فحذّرهم من

(١) ابن سعد: الطبقات الكبير، جـ٧، ص٣٧، ٣٨؛ البلاذري: أنساب الأشراف، جـ٢، ص٢٧٣، ٢٧٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ٢١، ص١١٤، ١١٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ٣، ص٤٣١، ٤٣٥.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند، جـ٣٨، ص٨٠٢، ح٢٣٢٦٨؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٦٣، ١٦٥؛ الطبري من طريق ابن شبّة. تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٥٩١؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٢، ص٦٢٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ١٥، ص١٤٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٨، ص٩١.

(٣) كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعليّ، ص٣١٠، ٣١١.

(٤) أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص٤٥٢.

(٥) البخاري: الصحيح، (كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج موج البحر)، جـ٦، ص٢٦٠١.

المشاركة فيها، وذكّرهم بقول رسول الله ﷺ: "اكْسِرُوا قِسِيَّكُمْ -يعني في الفتنة- وَاقْطَعُوا الأَوْتَارَ، وَالْزَمُوا أَجْوَافَ الْبُيُوتِ، وكُونُوا فِيهَا كَالْخَيِّرِ مِنَ ابْنَيْ آدَمَ"[1].

ولمّا كان عليٌّ ﷺ يعوّل كثيرا على أهل الكوفة، فقد أرسل إليهم بعد المحمّدين هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص الزّهريّ، ولكنّه أخفق في التّأثير عليهم أيضا[2]، فأتبعه عليٌّ ﷺ بعبد الله بن عبّاس ﷺ، إلا أنّهم أبطئوا عليه[3]، وبلغ عليّا أنّ أبا موسى لا ينتهي عن تخذيل النّاس عن النّهوض إليه فعزله عن الكوفة، وولّى عليها قرظة بن كعب الأنصاريّ ﷺ[4].

وكانت آخر محاولات عليّ ﷺ مع أهل الكوفة أن بعث إليهم ولده الحسن وعمّار بن ياسر ﷺ، فاجتهدا في استنفارهم[5]، وأبلغ عمّار في إقناعهم بالنّهوض مع عليّ ﷺ[6]، ولم يزل يستنفر أهل الكوفة حتّى خرجوا إليه[7].

ويزعم سيفٌ أنّ أمير المؤمنين عليّا ﷺ ما كاد يلتقي بالقعقاع التّميميّ في معسكره بذي قار[8] حتّى أرسله إلى البصرة سفيرا للإصلاح بين النّاس، وهناك

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف، جـ٧، ص٤٤٨، ح٣٧١٢٢. وقال الألباني: "إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال البخاري". سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، جـ٤، ص٣٠، ح١٥٢٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص١١؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص٤٥٢.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف، جـ٧، ص٥٤٥، ح٣٧٨٣٣. وإسناده صحيح. ابن حجر: فتح الباري، جـ١٣، ص٥٨.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص٣٦؛ ابن حجر: فتح الباري، جـ١٣، ص٥٨.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٨٤.

(٦) البخاري: الصحيح، (كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج موج البحر)، جـ٦، ص٢٦٠١.

(٧) ابن حجر: فتح الباري، جـ١٣، ص٥٨.

(٨) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط. ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص٢٩٣.

التقي بعائشة وطلحة والزّبير ﷺ، وطفق يدعوهم إلى الألفة والجماعة، ويعظّم عليهم الفرقة، ويبيّن لهم وجه الصّواب في تلك الفتنة حتّى توصّل معهم إلى الصّلح، ووافقوه على "التّسكين"، والتّريّث في المطالبة بدم عثمان ﷺ حتّى تستتبّ الأمور، وانتهى الاجتماع بموافقتهم على انتظار عليّ ﷺ؛ ليؤكّد لهم الصّلح الذي توصّلوا إليه مع القعقاع(1).

وهذا الذي زعمه سيفٌ تكذّبه الرّوايات الصّحيحة؛ لأنّ أمير المؤمنين عليّا ﷺ قد اتّفق مع طلحة والزّبير ﷺ قبل نشوب موقعة الجمل على إقامة فُسطاط آمن بين المعسكرين ليجتمع فيه القادة الثّلاثة للتّفاوض في إيجاد حلٍّ سلميّ، فظلّ عليٌّ والزّبير وطلحة ﷺ يأتون تلك الخيمة ثلاثة أيّام قبل نشوب المعركة، ولم يتوصّل الطّرفان إلى حلّ خلال تلك الأيّام(2).

ولمّا قال عليٌّ لطلحة والزّبير ﷺ: "أَلَمْ تُبَايِعَانِي؟ قالا: نَطْلُبُ دَمَ عُثْمَانَ؛ فقال: لَيْسَ عِنْدِي دَمُ عُثْمَانَ"(3).

وهاتان الرّوايتان تردّان زعم سيف بتوصّل القعقاع التّميميّ مع السّيدة عائشة وطلحة والزّبير إلى "التّسكين" والسّكوت عن المطالبة بدم عثمان ﷺ حتّى تستتبّ الأمور.

ولمّا كان يوم الجمل –ثالث الأيّام– دعا عليٌّ ابن عمّه عبد الله بن عبّاس فبعثه إلى طلحة والزّبير برسالة يقول فيها: "إِنَّ أَخَاكُمَا يُقْرِئُكُمَا السَّلامَ وَيَقُولُ

---

(1) كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعليّ، ص٣١٣- ٣١٦؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص٢٩.

(2) ابن أبي شيبة: المصنف، جـ٧، ص٥٣٧، ح٣٧٧٧٧. والأثر بإسناد حسن. أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص٤٥٤.

(3) ابن أبي شيبة: المصنف، جـ٧، ص٥٤٦، ح٣٧٨٣٣. وإسناد الأثر صحيح. ابن حجر: فتح الباري، جـ١٣، ص٥٧.

لَكُمَا: هَلْ وَجَدْتُمَا عَلَيَّ حَيْفًا فِي حُكْمٍ أَوِ اسْتِئْثَارًا بِفَيْءٍ"؟ فقال الزّبير: "لا فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا"[1].

ومع هذا يصرّ سيفٌ على أنّ عليّا عندما التقى بطلحة والزّبير تكلّموا فيما اختلفوا فيه، ولم يجدوا أمثل من الصّلح، فافترقوا عن موقفهم على ذلك[2]، وتمّموا ما أنجزه القعقاع من قبل، "فباتوا على الصّلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الّذي أشرفوا عليه"[3].

ولو تمّ الاتّفاق المزعوم مع القعقاع التّميميّ لما ظلّ قادة المعسكرين يتفاوضون ثلاثة أيّام دون الوصول إلى حلّ.

(٥) **تضخيم سيف لأعداد قبيلته عند موقعة الجمل**:

تذكر الرّوايات من غير طريق سيف أنّ الأحنف بن قيس –سيّد بني تميم– اعتزل حرب الجمل في ستّة آلاف من قومه[4]، ولكنّ سيفا وجد هذا العدد قليلا، فزاد فيه، وحاور عليّا ﷺ على لسان الأحنف: "اخْتَرْ مِنِّي وَاحِدَةً مِنْ ثِنْتَيْنِ، إِمَّا أَنْ آتِيكَ فَأَكُونَ مَعَكَ بِنَفْسِي، وَإِمَّا أَنْ أَكُفَّ عَنْكَ عَشَرَةَ آلافِ سَيْفٍ، فَرَجَعَ إِلَى النَّاسِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْقُعُودِ"[5].

ويبدو أنّ العدد لم يشبع رغبة سيف في الفخر بقبيلته، ولذا نراه يروي عن الأحنف قوله لعليّ ﷺ: "إن شئت جئتك في مئتي رجل من أهل بيتي، وإن

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف، جـ٧، ص٥٣٨، ح٣٧٧٩٢؛ أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة، جـ٢، ص٥٩٦، ح١٠١٥. وصحح المحقق إسناد الأثر.

(٢) كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعليّ، ص٣٢٧.

(٣) المصدر السابق، ص٣٢٧، ٣٢٨.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف، جـ٧، ص٥٤١، ح٣٧٧٩٨؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص٣٥. وصحح ابن حجر إسناد الأثر. فتح الباري، جـ١٣، ص٣٤.

(٥) كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعليّ، ص٣٢٢.

شئت لم أحضرك وكففت عنك أربعين ألف سيف من قومي وغيرهم، قال: كفّ عنّي أربعين ألف سيف"، فاجتمعوا له، فخرج بهم، وبلغ عليّا الذي صنع فقال: "إن شئتم قلتم: أدهى النّاس وخيرهم لقومه"[1].

ومثل هذه الأقوال لا تحتاج إلى تعليق، ومهما بلغ الأحنف من الشّرف والرّياسة فلا يجتمع له هذا العدد، والعصبيّة القبليّة والمبالغة العدديّة بادية عليه.

(٦) إظهار سيف لقوّة القعقاع التّميميّ على الأشتر النّخعيّ اليمنيّ:

لقد تمكّنت العصبيّة القبليّة من سيف التّميميّ حتى إنّه لم يدع فرصة إلا وأظهر فيها تعصّبه لقومه ورفعهم على غيرهم، وإن كان تعصّبه على اليمنيّة أكثر من المضريّة، وبينا سيفٌ يراجع أخبار موقعتيّ الجمل وصفّين في مخيّلته يجد الأشتر النّخعيّ يخوض في صفوف المخالفين لأمير المؤمنين ويفعل الأفاعيل، فيعزّ عليه أن يفوز الأشتر بهذا الدّور دون بني تميم، ولذا أسرع سيف إلى قعقاعه، وأوقفه أمام الأشتر وقد تعب الأخير من منازلة الرّجال، فألّبه القعقاع على معاودة القتال، وكان الأشتر قد لقي عبد الله بن الزبير فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه فسلما، فلمّا حرّض القعقاع الأشتر على القتال لم يجبه، فعرّض له القعقاع بما حدث له مع ابن الزّبير قائلا: "يا أشتر، بعضنا أعلم بقتال بعض منك"، وحمل القعقاع فيمن أطاعه، فلم يبق شيخ يومئذ قدّام الجمل إلا أصيب[2].

ويبدو أنّ سيفا نسي شدّة القتال وهول الموقف، فتخيّل أنّ القعقاع والأشتر في نزهة ترفيهيّة، أو مساجلة شعريّة يعدد فيها القعقاع مفاخر قومه، وذلك على فرض صحّة شهود القعقاع تلك الأيّام، ويجمع الرّواة وأهل الأخبار على أنّ الأشتر كان بطلا جسورا في الحروب لا ينكص فيها[3].

---

(١) كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعليّ، ص٣٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤١.

(٣) الكندي: الولاة والقضاة، تحقيق/ محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣، ص٢١- ٢٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٤، ص٣٤.

(٧) حقيقة دور القعقاع في عقر الجمل وإنهاء الحرب:

زعم سيفٌ أنّ القعقاع أشار على بني ضبّة[١] بعقر الجمل قبل أن يصابوا عن آخرهم وتهلك أمّ المؤمنين، فاستجابوا له، وقام بُجَير بن دلجة الضّبّي بعقره، واجتمع القعقاع وزفر بن الحارث العامريّ الكلابيّ[٢] على قطع بطان البعير، وحملا الهودج فوضعاه، ثم أطافا به، وتفارّ من وراء ذلك من النّاس، وكفّ بعضهم عن بعض[٣].

والصّحيح أنّ عبد الله بن بديل الخزاعيّ[٤] انتهى إلى عائشة رضي الله عنها وهي في الهودج فقرّرها بوصيّتها له بلزوم جانب عليٍّ رضي الله عنه عند مقتل عثمان رضي الله عنه فسكتت، فأمر من معه بعقر الجمل، ونزل مع محمد بن أبي بكر فاحتملا الهودج حتّى وضعاه بين يدي عليٍّ رضي الله عنه، فأمر بها فأدخلت بيتا[٥].

---

(١) ضبّة: قبيلة عدنانية كبيرة، وهم بنو ضبّة بن أدّ بن إلياس بن مضر. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـ٢، ص٦٦١.

(٢) زفر: هو زفر بن الحارث العامري الكلابي، سكن البصرة، ثمّ خرج منها بعد وقعة الجمل إلى الشام، وشهد صفّين مع الشّاميين، وكان فيها أميرا على أهل قنّسرين، وهو معدود في الطبقة الأولى من التابعين، ومات في أيام عبد الملك بن مروان. خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص١٥٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، جـ١٩، ص٣٤- ٤٠.

(٣) كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعليّ، ص٣٤٢.

(٤) ابن بديل: هو عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، سيّد خزاعة، وأحد وجوه الصحابة، أسلم يوم الفتح، وشهد حنينا والطائف وتبوك، وانحاز إلى جانب أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، وكان على رجالته يوم صفين، وقاتل فيها قتالا شديدا حتّى قتل. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٣، ص٨٧٢، ٨٧٣؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٤، ص١٨، ١٩.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنّف، جـ٧، ص٥٣٨، ح٣٧٧٨٥. وجوّد ابن حجر إسناد الأثر. فتح الباري، جـ١٣، ص٥٧.

وقد حكى عروة بن الزّبير عن خالته عائشة رضي الله عنها أنّ النّاس جالوا من حولها جولةً، فصارت مثل اللُّجّة، ولم تجد سبيلا للخلاص، فحمل بجير بن دُلْجة الضّبيّ الكوفيّ على الجمل، فقطع بِطانه، وعقره، وقطع ثلاث قوائم من قوائمه، فبرك، ووقع الهودج على الأرض، فجعلت عائشة تقول: "يا بَنيّ، البقيّة البقيّة"، ولمّا سئل بجير عن صنيعه بالجمل قال: "رأيتُ قومي قد فَنَوا عليه، فأبقيتُ بعقره على من بقي منهم"[١].

وبهذا يتبيّن لنا أنّ القعقاع التّميميّ لم يكن له دورٌ في عقر الجمل، ولا قطع بطان البعير، ولا حمل الهودج وتنحيته عن موضع القتال، وأنّ سيفا ألصق به كثيرا من الفعال الكبار التي لم يقم بها، وربما لم يشهد أحداثها أصلا، كما حرّف كثيرا من أخبار تاريخ قومه خاصّة وتاريخ المسلمين عامّة.

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، جـ٦، ص١٧١.

الخاتمــة

لقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من كتابة هذا البحث الّذي تعرّضت فيه للمرويّات التي اتُّهم الإخباريّ سيف بن عمر التّميميّ باختلاقها في تاريخ قومه فيما يتعلّق بأخبار السّيرة النّبويّة والرّدّة والفتوح والفتنة، وقد أمكن التّوصّل خلال هذه الدّراسة إلى عدد من النّتائج، لعلّ من أهمها:

* لا فائدة من البحث في أسانيد سيف بن عمر التّميميّ؛ لأنّ غالبيّة رجاله مجاهيل، وهو متّهم بالوضع والزّندقة، ولذا ينبغي أن يكون التّعامل مع مرويّاته بنقد متونها، ومقارنتها بغيرها من الرّوايات الموثوقة.

* أنّ المؤرّخين الذين ثبّطوا الباحثين عن تتبّع روايات سيف ونقدها بحجّة حدوث فجوات واسعة في التّاريخ الإسلاميّ لم يصيبوا في ذلك، وروايات الثّقات كثيرة جدّا، وعلى فرض انعدامها فالحق أحقّ أن يتّبع.

* ضرورة ملء مراجع التّاريخ الإسلاميّ الحديثة بروايات ثقات المؤرّخين التي توجد فيها غنية عن سيف، كابن إسحاق، والمدائني، وابن خياط، وابن شبّة، والبلاذري، وغيرهم.

* اعتمد مرتضى العسكريّ الشّيعيّ على رأي علماء أهل السّنّة المتقدّمين في تجريح سيف التّميميّ، وعدم ثقتهم بمرويّاته، ولكنّه بالغ في ذلك مبالغة شديدة، وطرح له روايات وأخبارا توبع عليها من الثّقات.

* ينبغي التّوقّف عن القول بأنّ القعقاع بن عمرو التّميميّ أسطورة مختلقة، بل هو شخصيّة حقيقيّة، وتابعيّ معروف عند المحدّثين وأهل الأخبار، وذلك من طرق معاصرة لسيف التّميميّ، وله ذكر ثابت في الفتوح، لكن لا تصحّ له صحبة، ولا رؤية، ولا رواية.

* شخصيّة عاصم بن عمرو التّميميّ أكثر ثبوتا من شخصيّة القعقاع، ولا مجال للطّعن في مشاركته في فتوح العراق، وإن ألحق به سيف بعض المبالغات.

* ظهر من خلال الدّراسة أنّ سيف بن عمر يبالغ جدا في تاريخ قومه، ويدفعه التّعصّب لهم إلى تزييف الحقيقة والإساءة لكبار الصّحابة وسائر القبائل العربيّة، وخاصّة اليمنيّين.

* لم يكن تعصّب سيف لقومه على درجة واحدة، بل نجده يتعصّب لعشيرته الأقربين أكثر من غيرهم، وللقعقاع خاصّة أكثر من غيره.

* تلاعب سيف في وفيات بعض قادة العرب والفرس، فأمات القائد التّميميّ زهرة ابن الحويّة قبل أجله، وأبقى مهران والفيرزان الفارسيّين بعد موتهما حتّى قتلهما على يد قريبه القعقاع.

* قام سيف بتشويه التّاريخ الإسلاميّ بمبالغاته الشّديدة في أعداد قتلى غير المسلمين خلال معارك الفتوح، وأتاح لهم القول بأنّ الإسلام انتشر بحدّ السّيف، وذلك على غير ما حدث من انجذاب شعوب البلدان المغلوبة من قبل الفرس والرّوم لعدل المسلمين ودينهم الحقّ.

* أنّ الإمام الطّبريّ لم يك مصيبا عندما صبّ معظم كتابات سيف المجروح في تاريخه الشّهير الذي لم ينتقد فيه أخباره على التّفصيل.

* ينبغي على الباحثين في التّاريخ الإسلاميّ ألا يستسلموا لأحكام أهل الجرح والتّعديل في الإخباريّين؛ لأنّهم يتساهلون معهم كثيرا فيما لا يتعلّق بالعقيدة والأحكام، وينبغي إخضاع مرويّاتهم لموازين نقد المتون جيدا.

* ينبغي التّوقف عن الأخذ من روايات سيف التّميميّ التي تخالف الرّوايات الموثوقة، والتّنبيه على عدم صحّة نسبة روايات الإخباريّين إلى الإمام الطبريّ الذي تبرّأ من عهدتها وعزاها لرواتها الأصليّين.

* أنّ كتب أئمة الفقهاء المتعلّقة بتاريخ صدر الإسلام ضروريّة للباحثين في تاريخ تلك الفترة؛ لأنّ أولئك الأئمة الموثوقين كانوا يتحرّون الصّحيح ويبتعدون في الغالب عن الرّواة المجروحين.

* ينبغي على المؤسسات العلميّة أن تتبنّى الرّدّ على الطّعنات التي توجّه لنحر التّاريخ الإسلاميّ، وألا تترك مهمّة الدّفاع عن الشّبهات والافتراءات للجهود الفرديّة المبعثرة هنا وهناك.

* أنّ مصنّفي كتب الصّحابة لم يكونوا بالغفلة والسّطحيّة التي صوّرها العسكريّ والمالكيّ وغيرهما ممّن وافقهما، وإن كانوا قد نقلوا بعض المبالغات.

* لا ينبغي أبدا لباحث أو عالم أن يجزم جزما أكيدا موثّقا بالأيمان المغلّظة بنفي وجود شخصيّة ما بحجّة أنها لم ترد في بعض المصادر الأولى؛ وذلك لأنّ العلماء المتأخرين قد اطّلعوا على مصادر كثيرة هي الآن في عداد المفقود، ولم يبق لها ذكر إلا في كتبهم.

* ليس صحيحا أنّ سيفا يدافع عن ذوي السّلطة والجاه من الصّحابة فحسب، ويحطّ من مناوئيهم، بل نجد سيفا ينال من قدر أبي بكر الصّدّيق، وعمر بن الخطّاب، وخالد بن الوليد خاصّة، ويحاول أن يرفع قعقاعه عليه في البطولات والتّكتيكات الحربيّة.

* جار سيف بتحريفه وخبثه على تاريخ بني تميم الصّحيح، وغطّى كثيرا من محاسنهم وأدوارهم في الفتوح وغيرها، ويكفي صنيعه بتاريخ القائد البطل زهرة ابن الحويّة مثالا على ذلك.

* أنّ الأبحاث والكتب التي صنّفت في تاريخ بني تميم واقتصرت على رواية سيف وحدها تحتاج إلى إعادة كتابة وتدعيم بالمصادر الموثوقة والمعتمدة.

* لا يقبل من تفصيلات سيف بن عمر التي انفرد بها إلا ما له أصل صحيح لإكمال الحادثة التّاريخيّة بما لا يخالف الصّحيح المعتمد لدى ثقات المؤرّخين.

* أدعو المتخصصين في الأدب والنّقد إلى دراسة أشعار التّميميّين التي ينفرد بها سيف، لأنّها تشبه أن تكون من نظم رجل واحد، وأنّها تخرج من قريحة واحدة، وأنّها عدّة قصائد موزّعة على الأشخاص التّميميّين المذكورين.

* أدعو الباحثين الجادّين إلى جمع مرويّات المؤرّخين الموثوقين عن الفتوحات الإسلاميّة في عصر الرّاشدين من المصادر التّاريخيّة والأدبيّة والفقهيّة وغيرها، وخاصّة مرويات أبي الحسن عليّ بن محمد المدائنيّ، وأتوقّع أنّها ستغيّر وجه تاريخ الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام.

وأخيرا،،،، فإنّي أسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا صوابا، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين، وأن يرجّح حسناتي يوم الدّين.